بسم الله الرحمن الرحيم

قل هذه سبيلي

الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: 1430-2009، الطبعة الثانية: 1431-2010

قل هذه سبيلي (سلسلة البناء والترشيد)

تصنيف الكتاب: دعَوي

تأليف: أ.معاذ الخطيب

إعداد: عصام عبد المولى isamabd@hotmail.com

سعر الكتاب: **75** ليرة سورية.

عدد كلمات الكتاب: **16300**

متوسط القراءة: **200** كلمة في الدقيقة.

الوقت المتوقع لقراءة الكتاب: **81** دقيقة.

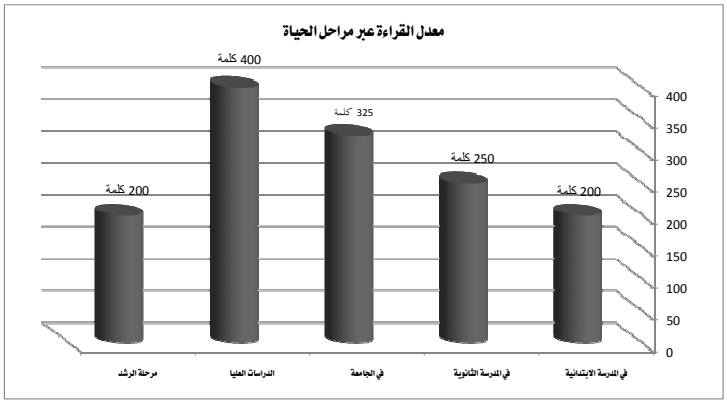

تطلب جميع أعداد السلسلة من :

مكتبة بيت العلم، حمص، هاتف: **00963 944 207938**

دار الغوثاني، دمشق، هاتف: **00963 11 2453638**

دار الفارابي، دمشق، هاتف: **00963 11 2226786**

دار البرهان، الإمارات، هاتف: **0505667381**

U K-London- Books Plus library- Tel: +442077239888

اطلب جميع أعداد السلسلة من: *00963932467792*

قل هذه سبيلي

أحمد معاذ الخطيب الحسني

قل هذه سبيلي

أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني

وسبحان الله وما أنا من المشركين

سلسلة البناء والترشيد

المؤلف في سطور:

- أحمد معاذ الخطيب الحسني.
- ولد في دمشق **1380**هـ / **1960**م.
- خطيب جامع بني أمية الكبير سابقاً .
- الرئيس الفخري لجمعية التمدن الإسلامي بدمشق.
- درس الجيوفيزياء التطبيقية وعمل لأعوام مهندساً بتروفيزيائياً في شركة الفرات للنفط.
- مدرس مادة الدعوة الإسلامية في معهد التهذيب والتعليم للعلوم الشرعية.
- عضو مجلس أمناء معهد الشيخ بدر الدين الحسني للعلوم الشرعية.
- انتسب إلى الجمعية الجيولوجية السورية، والجمعية السورية للعلوم النفسية.
- ألقى العديد من الدورات المكثَّفة؛ في الخطابة والدعوة..
- ألقى محاضرات دعوية في البوسنة، ونيجيريا، وهولندا، وإنكلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وتركيا...
- الموقع الالكتروني للشيخ: **www.darbuna.net**

بارك الله بدعاتنا ومتعنا بهم..

مقدمة الطبعة الثانية:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على الهادي سيدنا محمد وآله وصحبه. أما بعد:

فمن توفيق الله أن تصدر الطبعة الثانية من (قل هذه سبيلي) في فقه الدعوة، بعد أن لاقت الطبعة الأولى وبحمد الله قَبولاً من الدعاة وأهل العلم والفضل، وستتم ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية والبوسنية بإذن الله، بعد أن تُرجمت إلى اللغة الفارسية.

حفلت الطبعة الأولى بالعديد من الأخطاء الطباعية، والتي بذلنا غاية الجهد في تداركها في الطبعة الثانية، كما تم إثراؤها بالعديد من الأمثلة الواقعية، إضافة إلى تأييد معانيها بالمزيد من كلام أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى وجزاهم عن المسلمين ما هو أهله.

رسالتنا دعوة إلى الهداية والمعرفة، والتي خلاصتها ما قاله الإمام الجنيد رحمه الله: "لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر، وكالسحاب يُظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب". أي التواضع والرحمة والصدق.

اللهم ارزقنا السداد والرشاد، ووفقنا جميعاً إلى صالح القول والعمل. شكر الله لناشرها وقارئها، وكل من أعان بجهد أو نصح، أو أشار بخير.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه: أحمد معاذ الخطيب الحسني

2010-1431

مقدمة الطبعة الأولى:

الحمد لله الهادي إلى الرشاد، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعباد، معلم الخير سيدنا محمد، وآله الأطهار وصحبه الأبرار، وكل داعٍ إلى الحق حتى يوم المعاد.

أما بعد: فهذا بحث مختصر في **دعوة غير المسلمين** إلى الإسلام، دعا إليه واقع الدعوة المؤلم اليوم، إذ كاد يندرس فقهها، وربما صار طالب العلم يحمل أرفع الشهادات في الشريعة الإسلامية، وهو لم يتلق في فقه الدعوة درساً نظرياً واحداً، فضلاً عن الخبرة العملية.!

إننا نريد أن نكون شهود حق، وليس وثائق إدانة للإسلام، وإذا كانت الأمم تبذل أعظم الجهود في عرض مبادئها وأفكارها، بل وصَبغ العالم كله بها، فإن الأمر عند المسلمين الصادقين واجبٌ شرعي في حق دينهم، وعمل من أعظم القُرَبِ والطاعات، وقد قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِين) [فُصِّلَت:33] ومن أوجُهِ المعاني في القول: "الاعتقاد، والعناية صادقة بالشيء"[1]. فيحتمل المعنى أن يكون:

---

(1) مجد الدين محمد الفيروزابادي (**817** هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، **1412**هـ/**1992**م، **5**، ص **302**. ===

ومن أحسن اعتقاداً ممن كان حال دعوته إلى الله عملاً صالحاً[1] يستجلب به قلوب العباد معلناً لهم أنه من المسلمين.

وقد عقب الإمام القاسمي على الآية بقوله:

"وهي دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الدعوة إليه أحسن الأعمال، وكل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب"[2].

وورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **"لأن يُهدى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حُمُرِ النَّعَم"**[3].

وما زالت ساحات الدعوة إلى الله تنتظر زُرَّاع الإيمان فيها، إذ إن كثيراً من الأمم ضاعت عنها حقائق الإيمان، بل فقدَ كثير من أبنائها الفطرة السوية، لما غاب دعاة الحق من الميادين، وخفيت بعض بدهيات الدعوة، فانحسرت الهداية عن اللائق بها، وانكمش الصلاح، وتاهت شعوب..

وانظر كذلك: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر–دار بيروت، **1375**هـ/**1956**م، مادة: قول، **11**، ص**572**–**577**.

(1) (وجملة: وعمل صالحاً؛ عطف على دعا إلى الله، وجعلها أبو حيان حالية، وليس ثمة ما يمنع ذلك. وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف، أي وعمل عملاً صالحاً، وقال: عطف على ما قبله) وانظر في ذلك: محيي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دمشق–بيروت، دار ابن كثير–دار اليمامة، ط**6**، **1419**هـ/**1999**م، **6**، **635**.

(2) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، **1379**/**1995**، **14**، **5206**.

(3) أحمد بن علي بن حجر (**852**هـ/**1449**م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (**256**هـ/**871**م)، القاهرة، دار الريان، ط**2**، **1407**/**1987**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، الحديث (**2942**).

"وفي الحقيقة فإن مصيرنا مربوط بمصير البشرية، إذ لا يمكن أن تبقى أمة على حالها وعلى وضعها إذا كان العالم حولها يموج بفتنٍ، يموج باضطرابات، يموج بصراع نفسي"[1]، وهذا يدعونا لإصلاح أنفسنا، وإصلاح العالم من حولنا، امتثالاً لأمره تعالى: **(وما كانَ رَبُّكَ لِيهلِكَ القُرى بِظُلْمٍ وأهلُها مُصلِحون)** [هود، 117].

لم يكن طريق الهداة إلى الله يوماً مفروشاً بالورود، لكن من سار فيه لن يجد عنه بديلاً، وحلاوة الجهد لا يدركها إلا من ذاق فعرف، وكان القرآن العظيم له إماماً وشفاء ورحمة، وسنة النبي الهادي ﷺ نوراً ورشاداً.

في هذا الكتيب تم استقصاء أهم العوامل المساعدة على نجاح الدعوة بين غير المسلمين، وبيان بعض المبادئ الأساسية في الدعوة؛ ابتداء بما يتعلق بالداعية نفسه من حيث صفاته، ثم المنهج الصحيح من حيث وجوب التزامه بالفقه القرآني، واستمداده من دروس وتجارب الأنبياء عليهم السلام.

---

(1) أبو الحسن الندوي، حكمة الدعوة وصفة الدعاة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، **1413**هـ/**1992**م، ص**69**.

تلا ذلك توضيح الأسلوب السليم في الدعوة، والذي يبدو أن فواته يشكل عاملاً خطيراً في انحسارها على جبهات مختلفة.

كما تم التركيز على مصارع الداعية، والأسباب التي تؤدي إلى ضياع جهود الدعوة والداعي، وأُتبع ذلك ببيان أهمية وضرورة صيانة البلاغ، والعوامل المساعدة على ذلك، وخُتم البحث بملخص عام للدراسة.

لابد من ملاحظة أن أكثر مستلزمات الدعوة بين المسلمين وبين غير المسلمين واحدة، إلا أن هناك بعض النقاط التي ينبغي أن يزداد التنبه لها، والتركيز عليها عند الدعوة بين غير المسلمين، مثل ضرورة إدراك الداعي لضرورات تلك المجتمعات، والقيم والعادات والأعراف والأوليات فيها وسماتها الثقافية والاجتماعية، كما أن طرح بعض الأمور، كالفقه مثلاً وحتى العقيدة، يختلف ما بين مجتمعات مسلمة، وغير مسلمة يُراد لها الدخول في الإسلام، وقد تم الحديث عن بعض هذه النقاط من خلال الكلام عن أسلوب الداعية، وما يقتضيه من استيعاب لما سبق؛ من أجل عمل دعوي راشد وسليم .

الصعوبات في وجه الدراسة:

برزت الصعوبات الأساسية في وجه البحث ضمن ثلاثة محاور:

الأول:

اتساع فقه الدعوة فيما يتعلق بغير المسلمين؛ بسبب التباينات الثقافية والاجتماعية، كما أن التعامل مع خصوصيات كل بيئة أمر يحتاج إلى بسط ودراية وخبرات لا يمكن تأدية حقها في هذا البحث الموجز، ورغم أن البحث عام إلا أن بعض الوقائع رُصدت من خلال الحركة الدعوية تجاه العالم الغربي لكونها أكثر توثيقاً، ويسهل رصدها أكثر من باقي البلدان.

الثاني:

محدودية المراجع التي تؤصل الفقه الدعوي بشكل مجرد، ومن دون أن تتحرك ضمن قوالب ضيقة لمدارس وجماعات، مهما بلغت من الشأن فهي جزء من الإسلام، والإسلام أوسع منها بكثير، ويجب التأكيد أن الأساس النظري مهم، ولكن الحركة العملية به هي التي تبعث روح الدعوة والهداية في النفوس.

الثالث:

قلة المراجع المباشرة حول أساليب الدعوة بين غير المسلمين، وغيابُ الأعمال المؤسساتية التي تقدم دراسات موثقة ومعمقة عن أنجع الأساليب للدعوة ضمن الشعوب والثقافات والمجتمعات غير الإسلامية..

كما أن أغلب المصادر التي توافرت بين يدي كانت تتحدث عن مكر الخصوم والمؤامرات على المسلمين، والقليل منها تحدث عن أسباب وعوامل الضعف الداخلية والذاتية التي أدت لانحسار الإسلام، أو تراجعه وعلى أكثر من صعيد.

إنني أعتقد أن الإسلام أوسع من أية راية رُفعت من أجله، وطالما ذكر العلامة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، أن "كل عالم مخلص هو قاعة من قلاع الإسلام نقاتل عنها ونحتمي بها" ولهذا أوردت ما استطعته من تجارب أئمة الإصلاح، والذين مهما تباينت مدارسهم، فقد كانوا عشاق هدى وحملة أمانة، ولإعلاء كلمة التوحيد عاشوا، وعليها قضوا وما بدلوا تبديلاً، ومن الوفاء لهذه الأمة أن نذكر أهل السابقة ونتعلم منهم، موفرين الكثير من الجهد والتعب في طريق الدعوة الطويل.

المبحث الأول: صفات الداعية.

الصلاح قبل الإصلاح

لوعة القلب

حب الهداية

التواضع

الصبر في الحالين

الالتجاء إلى الله

الثبات حتى اليقين

أدب العلم قبل حرفه

صواب لا أدري

المؤمن صاحب نصيحة

لابد لمن يدعو إلى الله من حيازة صفات مميزة نورد فيما يلي أهمها:

الصفة الأولى: الصلاح قبل الإصلاح.

يقول الإمام الجيلاني[1]: "عِظ نفسك أولاً، ثم عظ نفس غيرك، عليك بخويصة نفسك، لا تتعدَ إلى غيرك وقد بقي عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها، ويحك أنت تعرف كيف تخلِّص غيرك؟ أنت أعمى كيف تقود غيرك؟ إنما يقود الناسَ البصيرُ، إنما يخلصهم من البحر السابح المحمود".

وزاد الجيلاني الطريق وضوحاً فأرشد السالك أن[2]: "كُن صحيحاً تكن فصيحاً... كُن صحيحاً في السر تكن فصيحاً في العلانية".

إذا فسد العلماء صار الناس معذورين، فإن "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق" [3].

---

(1) عبد القادر بن موسى الجيلاني (**470**-**561**هـ)، الفتح الرباني والفيض الرحماني، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة، **1380**/**1960**، **5**.

(2) المرجع نفسه، **64**.

(3) محمد بن أبي بكر الزرعي الحنبلي، ابن قيم الجوزية (**751** هـ)، الفوائد، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق، مكتبة دار البيان، ط**2**، **1408**/**1984**، **112**.

بل إن هداية الأمم إلى الله لا يتم ما لم يكن المسلمون أنفسهم على هدى، وهذا سبب أن بعض الجماعات أعطت الأولوية لتفقيه المسلمين بدينهم، وفيه وجه كبير من الصواب؛ فإن الأمم تنظر إلينا: فإن وجدت فينا الخير لها اهتدت بنا، وإلا ازدادت بعداً؛ لغياب القدوة الصالحة التي تتأسى بها.

فقه الصلاح والإصلاح جمعتهما آية واحدة في كتاب الله، إذ يقول تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَـمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)**[السجدة:24]

أي: "وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها.

أما من قرأ[1]: (لِـمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم، وكلا القراءتين صحيحة، فالمعنى يكون: إذ صبروا، وحين صبروا؛ أي: صاروا أئمة هدى لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا"[2].

---

(1) وهي قراءة: حمزة والكسائي ورُويس.

(2) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه: د.بشار عواد معروف ــ عصام فارس الحرستاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، **1415/1994**، **6/152**

وقد كان لنا قريب تزوج امرأة غير مسلمة أثناء غربته، وبعد أربعين عاماً قالت أخته لها: أما آن لك أن تدخلي في الإسلام؟

فقالت مدهوشة:

وهل تزوجتُ في الأصل مسلماً !؟

لما صلُحَتِ القلوبُ صارت على إصلاح غيرها قادرة، ومن عجز عن إخراج الدَّغَل[1] من قلبه فهو عن غيره أعجز..

وبوارق الصلاح إنما أُسها الإخلاص وتصحيح النية، ومن فاته الإخلاص والنية الصالحة هلكَ وأهلكَ.

وإن الإخلاص هو الروح التي نحيا بها: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لهُ الدِّين) [الزُّمَر:2]

ومما ساقه ابن القيم في تعريف الإخلاص أنه:

" نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومَن تزين للناس بما ليس فيه سَقط من عين الله"[2].

---

(1) الدَّغَلُ: الفسادُ، كما في مختار الصحاح.

(2) عبد المنعم صالح العلي العزي، تهذيب مدارج السالكين، دبي، قسم البحوث بوزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، د ت، **322**

ومن أركان الإخلاص ومستلزماته ألا ينتظر الداعية من الناس شيئاً، وأن يكون عمله كله من معين سير الأنبياء: (إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ) [يونس:72]

ويعبر بديع الزمان عن هذا المفهوم بقوله[1]:

"إن إقبالَ الناسِ لا يُطلَبُ، بل يُوهبُ، وإذا حصل الإقبالُ لا يُسَرُّ به العالِـم الحق، وإن سُرَّ به ضاع الإخلاص ويقع في الرياء".

إن الإخلاص سبب النجاح الدائم، وحال الداعية المخلص أن يقول لمن يدعوهم:

اذهبوا أنَّى شئتم فسيأتيني أجركم بعد أن قُمت بما أُمِرت به، وإنني لا أنتظر منكم جزاء ولا شكوراً.

---

(1) سعيد النورسي، اللمعة الدمشقية، سلسلة رسائل النور، د م، د ن، د ت، هامش: **40**

الصفة الثانية: لوعة القلب.

جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "مَثَلي ومثلكم كمثل رجل أوقدَ ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخذ بحُجَزِكُم عن النار وأنتم تفلتون من يدي"[1].

ومن يتصدى للدعوة بحس بليد وقلب لا لوعة فيه ولااحتراق، يظنها ألقاباً ومناصبَ وحرفة وشقشقة كلام، فهو نصلٌ في خاصرتها، وميت القلب هو قبر يمشي، ولا يكون خيرٌ ممن لا يغتفر إساءة إلى ذاته، وينام عن استباحة كرامة الإسلام، وقد أفزع الإمامَ ابن القيم وجودُ موتى القلوب، الدعاةِ الزائفين، المبتلى الإسلامُ بهم، فبين أنه لا خير فيهم: "وأي خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسوله ﷺ يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان، شيطان أخرس، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة لهم بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتباكي، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو مالِه بَذل وتبذل، وجَهَدَ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار

---

(1) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري،،كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي. رقم الحديث: **6483**.

الثلاثةِ بحسب وسعه، وهؤلاء -مع سقوطهم من عين الله تعالى، ومقت الله لهم- قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون، وهم لا يشعرون، وهي موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ولرسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل"[1].

فاقد الشيء لا يعطيه، وهداة الخلق إلى الله ينتقل النور من قلوبهم إلى قلوب العباد كسراج يقتبس من سراج، واللوعة التي في قلوبهم تُغني عن كثير من فصاحة اللسان.

ويذكر العلامة أبو الحسن الندوي حال أحد الدعاة الكبار، وهو الشيخ **محمد إلياس الكاندهلوي**[2]، أحد الذين بارك الله في دعوتهم، بصدقهم وإخلاصهم ولوعتهم، فيقول عنه:

"رجل نحيل نحيف، تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية، على وجهه مخايل الهم والتفكير، والجهد الشديد، ليس بمفوه ولا خطيب، بل يتلعثم في بعض الأحيان، ويضيق صدره، ولا ينطلق

---

(1) الحارث بن أسد المحاسبي، رسالة المسترشدين، حققه عبد الفتاح أبوغدة، ط**8**، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، **1995/1416**، هامش: **91**-**92**

(2) مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ، ورغم وجود انتقادات عديدة حول تلك الجماعة وأفكارها فإن من الإنصاف أن تذكر الايجابيات والسلبيات بحقها دون تحامل أو تعصب لها أو عليها، ولا يتسع بحثنا لهذا الموضوع.

لسانه، ولكنه كله روح ونشاط، وحماس ويقين، لا يسأم ولا يمل من العمل، ولا يعتريه الفتور ولا الكسل، رأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم كأنه على حسك السعدان[1]، يتململ تململ السقيم، ويتنفس الصُعَداء لما يرى من حوله من الغفلة عن مقاصد الحياة، وعن غاية هذا السَّفَر العظيم" [2].

ومن قدوة أخرى هي الشيخ **عبد القادر الرائيبوري**، نعرف أسباب الاهتمام الذي لا ينقطع، والاستنفار الدائم من أجل الإسلام: "وإنما سرى هذا الهم وامتزج بروحه وفكره، فكان لا يفارقه، ولا ينفصل عنه، وكأنه اندمج بدقات قلبه، أو سرى في دمه، إنه كان ينتمي إلى تلك الجماعة الربانية التي لا تصرفها أشغالها، والعكوف على الذكر والتسبيح والانقطاع إلى الله عن تتبع حال المسلمين والتفكير في مسائلهم، ولا تجعلها في غفلة عن قضايا المسلمين لحظة، بل تزيدها اهتماماً بها، وتُحدث في قلوبها حرقة واضطراباً زائداً لها، ويتحول هذا الهم إلى دموع، ترسلها عيون

---

(1) الحسك هو الشوك، وحسك السعدان: نبات له ثمرة خشنة وأشواك، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، **10**،**411**.

(2) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، **1410**/**1990**، **15**.

رجالها فتتضرع إلى الله، وتبتهل لنصرة المسلمين ولعزتهم وسعادتهم، وأحياناً تغلبهم الشكوى على حال المسلمين، والاعتراف بتقصيرهم وتهاونهم في الإسلام، فيتوجهون إلى تذكيرهم وتنبيههم وإنذارهم، فيرسلون الدموع في خلواتهم ومناجاتهم مع الله، وفي محافلهم ومجالسهم؛ يحرك هذا الهم ألسنتَهم للتنبيه والإنذار والتوصية، فلا يفارقهم هذا الهم"[1].

إن الدعوات الناجحة رُزقت حملة ذوي مواصفات خاصة، وهذا سر قوتها، وكثيرون قد يحتارون من النتائج الهائلة التي يكرم الله بها الصادقين من دعاته، ويتلمسون سرها في سُبل شتى، ولكنهم يبحثون في السراب، ما لم يعرفوا الحقيقة البسيطة العظيمة، والتي لا يعسر إدراكها على الصادقين.

مَن لم يَبِتْ والحُبُّ حَشْوُ فُؤادِهِ لَم يَدْرِ كَيفَ تَفَتَّتُ الأكبادُ

قال ابن القيم[2]: "إذا رأيت محباً ولم تدر لمن! ضع يدك على نبضه، وسَمِّ له من تُطِبُّه به، فإن النبض ينزعج عند ذكره: (إنما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهم) [الأنفال: 2] ".

---

(1) المرجع نفسه، **37**.

(2) ابن قيم الجوزية، الفوائد، **390**.

الصفة الثالثة: حب الهداية.

إن للداعية أسوة برسول الله ﷺ وقد كان يخرج إلى القبائل يدعوها إلى الله فلا يلقى إلا المعاندة والأذى، ويكفي أن أهل الطائف أغروا به سفهائهم فكانوا صَفَّين، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء، ولم يكن منه إذ عُرِضَ عليه إهلاكهم بإطباق الأخشبين عليهم إلا أن قال[1]:

"بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده لايشرك به شيئاً".

يعلِّمَنا القرآن الكريم كيف يتحرق الداعية:

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) [يس:27]

فحتى بعد الموت يطمع الداعية أن يعلم الغافلون عن الله ما أعدَّ الله لمن اصطفاهم من أهل محبته، لعلها تتحرك قلوب من قتلوه، ويملأ الايمان جنباتها، وعلى هذا الطريق ينبغي أن يسير الدعاة.

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،**6**،**315**. وانظر أيضاً صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، جدة، دار القبلة، ط**6**، **1411**هـ/**1991**م، **141**ـ**142**.

أما من يريد الدعوة بقلب حقود ونفس حانقة فيُقال له:

يا هذا أخطأت الطريق، فارجع من حيث أتيت، وإن فاقد الشيء ما كان أبداً ليعطيه "فمن قام لله حتى أوذي في الله: حَرَّمَ الله عليه الانتقام، كما قال لقمان لابنه[1]:

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور) [لقمان:17].

زار أحد الدعاة قوماً فأقبلوا عليه إقبالاً عظيماً، ودهش صاحب له فسأله: لِمَ يُحِبُّكَ الناس كل هذا الحب؟

فقال الداعية: لأني أحبهم.

الدعوة حب، والحب عطاء، وفاقده يريد حظ نفسه.

ومما يرويه الحكماء أن الثلج قد اشتد يوماً، فانقطع به طلبة علم في زاوية سكنوها بين الجبال وكادوا يهلكون، فأرسل الشيخ بعض أشدائهم إلى أقرب قرية، يُحضرون خبزاً وطعاماً بالدَّينِ إذ نفد منهم المال، فاستهزأ بهم الباعة، فلم يعلم الطلبة ماذا يصنعون! وإذا برجل ممن يعبدون النار يسألهم عن حالهم، ويشتري لهم الطعام هدية..!

---

(1) عبد المنعم صالح علي العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص: **424**

فأخذوه مضطرين، ولما عادوا أخبروا الشيخ بما جرى، فاغرورقت عيناه بالدموع، وبسطوا الطعام بين أيدي إخوانهم المتضورين جوعاً، وإذا بالشيخ يَعجب من فعلهم ويقول لهم:

لقد أحسن إليكم ذلك الرجل عابد النار، أفلا تكافئونه قبل أن تأكلوا طعامه؟

فاحتاروا ماذا يصنعون!

فقال الشيخ: ارفعوا أيديكم وأمِّنوا ورائي:

اللهم عبدٌ من عبيدك قد أحسن إلينا، فاجزه خير ما جازيت عبادك إحساناً، اللهم املأ قلبه بحبك حتى لا يحب سواك، ورده إليك جميل الرد، وصِل حبله إليك..

فإذا بالباب يُدفع وعابد النار [وقد تبعهم] يدخل، وقد بللت لحيته الدموع، وهو يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...

الصفة الرابعة: التواضع.

يلاحَظ أحياناً أن بعض مَن يتصدون للدعوة لا يكون عندهم التواضع المطلوب، وقد يتعلل واحدهم بأنهم يتخذون بعض المواقف لإشعار الناس بوجوب الاحترام اللازم للعلم وأهله، وقد يَصدق هؤلاء في مواطن قليلة، ولكن ما ينطبع في أذهان الناس -بل يفطر قلوبهم- ما يحسونه من تكبر بعض الدعاة، وتعاليهم على إخوانهم، ونظر بعضهم إلى الناس، بل ربما أقرانه نَظَرَهُ إلى التراب..!

إن "تمام التواضع: ألا يرى العابد لنفسه حقاً على الله لأجل عمله، فإنه في عبودية وفقر محض، وذل وانكسار، فمتى رأى لنفسه على الله حقاً: فَسَدت عبوديته، وصارت معلولة وخيف منها المقت"[1].

في معهد شرعي جلست طالبة علم على طرف الرصيف، وهي تتلوى ألماً، ومر أحد الأساتذة، فلما جاوزها خطوات توقف ثم رجع إليها، منتهراً إياها وواصفاً لها بقلة الأدب؛ إذ يمر أستاذها فلا تقف له! ووقفت الفتاة باكية، فهز الأستاذ برأسه ومضى دون أن يسألها عن سبب ألمها وجلوسها وبكائها! لقد كانت تعاني من آلام المخاض الشديدة! ولم يشعر الأستاذ بحالها فقد كان يبحث عن نفسه.

---

(1) عبد المنعم العزي، تهذيب مدارج السالكين، **433**.

تُقدِّم السيرة السلوكية العملية للنبي ﷺ القدوة لكل داعية؛ إذ كان أشد الناس تواضعاً، وأبعدَهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة رضي الله عنها:

"كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدُكم في بيته، وكان بَشَراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه..

لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه...

كان دائم البشر، سهل الخُلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولاعتاب، ولا مداح...

ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق...

وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحَبَّبَهُ إلى القلوب، وصيره قائداً تهوي إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً"[1].

---

(1) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، **546**–**549**.

الصفة الخامسة :الصبر في الحالين.

يحتاج الداعية إلى زاد عظيم من الصبر؛ لتتحقق فيه إمامة الهداية، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة 24]

ومن مواطن الصبر العظيمة:

الصبر عند التبليغ.

والصبر عند التخذيل..

فإن الصبر ضياء، ولا يزال ينير سبيل السالك ما استعان به.

وعن ابن مسعود ﷺ قال:

"كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومُه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون"[1].

وليس الصبر شيئاً يظنه المرء كما يشتهي، بل ضابطه واضح عند أهل العلم:

---

(1) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: **3477**

"فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"[1]، وما كل أحد بقادر عليه إلا بعد الرياضة الطويلة.

"وإنما كان صعباً على العامة؛ لأن العامي مبتدىء في الطريق، وليس له دُرْبَةٌ في السلوك، ولا تهذيبُ المُرتاضِ بقطع المنازل، فإذا أصابته المحن أدركه الجزع، وصعب عليه احتمال البلاء، وعز عليه وجدان الصبر؛ لأنه ليس من أهل الرياضة فيكون مستوطناً للصبر، ولا من أهل المحبة، فيلتذ بالبلاء في رضاء محبوبه[2]... والصبر من آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبين، وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة، وهو من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها"[3].

---

(1) عبد المنعم العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص: **253**

(2) المرجع نفسه، ص: **356**

(3) المرجع نفسه، ص: **357**

ومن قصص الصبر التي تروى للدعاة ما كان من أول أمر الشيخ محمد إلياس رحمه الله[1]، إذ أن بلدته (ميوات) في الهند لم يبق من الإسلام فيها إلا أمران: تكفين الميت، والختان! وزاد البلاءَ دجالون كانوا يبيعون كراسي في الجنة لمن مات! مستغلين جهل الناس، ورافعين أسعارها حسب ما يعلمون مِن يسار أهل الميت.

كان الشيخ محمد إلياس عيياً لا يحسن الكلام، لكنه أوتي صبراً عجيباً وحرقة عظيمة، وعندما كان يقف بين الناس كان يثني عليهم بأنهم يحبون النبي ﷺ ويقومون بسنته، إذ يختتنون ويكفنون أمواتهم، وكانت عيناه لا تقدران أن تحبسا دموعه، وهو ينظر إلى حال المسلمين البائسة وقد فشا الجهل فيهم، فكانت دموعه أبلغ من كلامه، وصبره أعظم من آلامه، ومرت سنون كثيرة، وبدأت روح الدين تسري بين الناس، حتى أصبحت ميوات ببركة الصبر مدينة عظيمة للدعاة يندر فيها أن تضع يدك على كتف رجل لا يحفظ كتاب الله عز وجل.

---

(1) حدثني بذلك الداعية الفاضل سمير التقي الكفرسوسي (أبي أنس)، وقد صاغها الفقير بأسلوبه.

الصفة السادسة: الالتجاء إلى الله في كل عمل.

روى البخاري أن النبي ﷺ كان يقول[1]: "والله إني لأستغفرُ الله، وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

وخلال تحرك الداعية فإن أكثر ما يعينه هو الاعتصام بحبل الله، فإن مخالطة الناس ربما يكون معها ضيق صدر، وشدة وطأة، وقد يأتي الداعية ما لايطيق، وقد يُذَكِّرُهُ الناس بنفسه لكثرة شكواهم وجحودهم، وقد تنتقل غفلتهم إلى قلبه، وعليه أن يفطن لكل ذلك فيقصيه..

وأعون العون على ذلك الاستغفار، فيكون دائماً لله ومع الله.

ويحذر الإمام ابن القيم فيقول:

(وليحذر كل الحذر من طغيان: (أنا) و (لي) و (عندي)، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس وفرعون وقارون:

(أنا خيرٌ منه) لإبليس.

(لي مُلكُ مِصر) لفرعون..

(إنما أُوتيتُه على علمٍ عندي) لقارون..

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،كتاب: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ، رقم الحديث: **6307**

وأحسن ما وُضِعت:

(**أنا**) في قول العبد: أنا العبد المذنب المخطىء المستغفر المعترف.

و(**لي**) في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الذلة والفقر.

و(**عندي**) في قوله: اغفر لي جِدِّي وهزلي وخطئي وعَمدي وكل ذلك عندي)[1].

ومن جميل الافتقار الدعاء ما ينسب إلى الإمام الحسن البصري رحمه الله [2]:

"اللهم إني أستغفرك لكل ذنب رصدني فيه أعدائي لهتكي فصرفتَ كيدهم عني، ولم تعنهم على فضيحتي حتى كأني لك مطيع، ونصرتني عليهم حتى كأني لك ولي، فإلى متى يا رب أعصي فتمهلني، وطال ما عصيتك فلم تؤاخذني، وسألتك على سوء فعلي فأعطيتني، فأي شكر عندي يقوم بنعمة من نعمك علي..".

---

(1) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، **1399**هـ/**1979**م، **2**،**475**.

(2) الحسن البصري، الاستغفار، حمص، دار الترمذي، د.ت، **3**.

الصفة السابعة: الثبات حتى اليقين.

يقتبس الداعية ثباته من خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ، وقد لقي ما لقي من الصد والاستهزاء: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحِجر:99].

والمعنى[1]: "واعبد ربك في جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك"؛ فصاحب الرسالة يبقى ماضياً فيها حتى يلقى وجه ربه.

يحدثنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن نموذج نادر من نماذج الثبات على الحق، مما فيه العبرة للدعاة في كل وقت وحين، وذلك بما مرَّ به آخر شيخ للإسلام في الدولة العثمانية، وهو الإمام مصطفى صبري، وكيف مات جوعاً وهو لا يبدل ما عرف من الحق، ولا يداهن ولا يغَيِّرُ ولا يلين :" فإنه حين هاجر بدينه من تركية بعد أن وقف من طاغيتها (مصطفى كمال) الموقف المشرف الشجاع، وترامت به البلاد ثم استقر في مصر على فاقة وإملاق شديدين، مع

---

(1) عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، دمشق، دار اليمامة، **1415**هـ/**1994**م، **2**/ ص **895**.

التجمل في الظاهر والتجلد للشدائد، نشرت الصحف العالمية خبر صيام (غاندي) زعيم الهند، احتجاجاً على سياسة الإنكليز في بلاده فارَتجَّت بهذا النبأ أرجاء العالم، واستُعظِمَ النبأ كل الاستعظام، فأنشأ شيخنا رحمه الله أبياتاً قارن فيها بين جوعه الدائم الصامت وجوع غاندي العابر الصاخب، إذ تحدثت عنه صحف العالم فقال:

صام شيخُ الهندِ الحديثة غَندي ... صومة المستميت والمتحدي

وأراني على شفا الموت أُدعى ... شيخ الإسلام بَله هند وسندِ

غير أن الصومين بينهما فر ... قٌ عجيب أبديهِ من غير ردِّ

صام مع وُجدِهِ وصِمتُ لعُدمٍ ... دام مُذ ضِفتُ مصر كالضيف عندي

وغدا صومُه حديثَ جميع النا ... س، أما صومي فأدريه وحدي

في سبيل الإسلام ما أنا لاقٍ ... ولئن مت فليعش هو بعدي

فليعش رغم مسلمي هذا العصر دينٌ ... ضَيَّعُوهُ ولم يَفُوهُ بعَهدِ

كان مثلي يَموت جُوعاً ولا يُعـ ... ـرف لو كان شيخَهم شيخُ هندِ[1]

فاقتد رحمك الله وتعلم.

---

(1) عبد الفتاح أبو غدة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، بيروت، دار القلم، ط**3**، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، **1992/1413**، **227** – **228**.

الصفة الثامنة: أدب العلم قبل حرفه.

تُعلمنا سورة الحجرات أن هناك آداباً شرعية ينبغي للمؤمن أن يراعيها، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون ۝٢ إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم) [الحُجُرات: 3]

"وفي هذه السورة جملة من الآداب التي تزين الأمة وتصون كيانها، أولها أدب المسلمين مع رسولهم، ثم آداب المسلمين بعضهم مع بعض، ثم علاقة الأمة كلها بسائر الأمم"[1].

"وقد قيل للشافعي رحمه الله : كيف شهوتك للأدب.؟

فقال: أسمع بالحرف منه ما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به.

قيل: وكيف طلبك له.؟

قال: طلب المرأة الضالةِ ولدها وليس لها غيره" [2].

---

(1) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، القاهرة ــ بيروت، دار الشروق، **1995/1416**، ص: **404**

(2) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحليل وتحقيق د.عبد الأمير شمس الدين، ط**2**، بيروت، دار اقرأ، **1406/1986**،**63**.

ومن الأدب الشرعي عدم المغالاة في الأمور، وقد قال تعالى: (ولا تَجعَل يَدكَ مَغلولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبسُطها كُلَّ البَسطِ فَتقعُدَ مَلوماً مَحسوراً) [الإسراء: 29].

وقد خسرت الدعوة كثيراً من أبنائها لما حملوا أنفسهم ما لا يطيقون، وألزموها من ترك المباحات ما لم يؤمروا به، فإذا بهم يعودون إليها أشد نهماً، وقد خطت أخاديد في سلوكهم، ومما أوصى به أبو الحسن الشاذلي تلميذاً له أن:

"لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة"[1].

إن فوات جملة الآداب الشرعية أمر خطير، أعظمه حبوط العمل، وأدناه نفور القلوب، والداعية لا ينبغي أن يعرف الأدب وحسب، بل ينبغي أن يكون قمة فيه، ومن الأدب الرفيع ما أورده الإمام ولي الله الدِّهلوي من أنه قيل لعصام بن يوسف رحمه الله:

"إنك تكثر الخلاف لأبي حنيفة رحمه الله؟

---

(1) عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي، **53**.

قال: لأن أبا حنيفة أوتي من الفهم ما لم نؤتَ، فأدرك بفهمه ما لم ندرك، ولا يسعنا أن نفتي بقوله ما لم نفهم"[1].

فبلغ الغاية في الأدب رحمه الله، إذ أعطى أبا حنيفة حقه، بل عظمه ورفع من أمره، وما خصه الله به من العلم، ثم تواضع بين يديه، وبعدها أشار إلى أنه لا ينبغي لصاحب العلم أن يأخذ بما لم يقم عنده الدليل عليه، وذلك بألطف عبارة وأرق أسلوب..

لذا كان من وصية حبيب ابن الشهيد لابنه:

"يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من العلم"[2] .

ورحم الله من كانوا لا يُعلمون الرجل العلم حتى يتعلم الأدب، ولو وقف على باب الأدب عشرين عاماً.

---

(1) ولي الله الدهلوي، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، راجعه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار النفائس، ط**2**، **1398/1978**، **105**

(2) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، **62**.

الصفة التاسعة: صواب لا أدري.

إن من أتقن (لا أدري) يبقى في الصواب أبداً..

وقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ [1]: "من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لايعلم: الله أعلم؛ فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أنا مِنَ المتَكَلِّفِين) [ص:86]".

(لا أدري) هي نصف العلم، وعلى الداعية إتقانها، وإلا هلك، وقد قال ﷺ : "إن الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعهُ من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناسُ رؤوساً جُهالاً فسُئلوا بغيرِعلمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا"[2].

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب العلم[3]: "باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أيُّ الناس أعلم، أن يكل العلم إلى الله".

وذَكر فيه قصة سيدنا موسى مع الخضر، وكيف عتب الله على موسى ﷺ "إذ لم يرُدَّ العلم إليه"، وهو تأديب عظيم، فيه للدعاة في كل عصر ومكان من العبر الكثير.

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: تفسير القرآن، باب: وما أنا من المتكلفين، رقم الحديث: **4809**

(2) المرجع نفسه، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم الحديث: **100**

(3) المرجع نفسه، كتاب: العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل، رقم الحديث: **122**

الصفة العاشرة: صاحب نصيحة.

إن المؤمن مرآة أخيه.

و"إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُد بعضه بعضاً، وشَبك ﷺ أصابعه"[1].

وقد جاء أنه ﷺ قال: "الدين النصيحة"[2] ، وهي أمر لابد أن يكون متبادلاً بين الجميع: بذلاً وقَبولاً فإن "من استغنى برأيه ضل وذلَّ وزل، إذا استغنيت برأيك حُرمت الهداية والحماية؛ لأنك ما طلبتها ولا دخلت في سببها"[3] .

"قيل لأبي حنيفة رحمه الله: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه! فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا؛ قال: لا يفقه هؤلاء أبداً" [4].

إن فقه التناصح لابد من إحيائه، ومن لا يرى إلا نفسه فهيهات أن يكون ناصحاً أو منصوحاً، وهو ما أشار إليه مولانا أبو الحسن الندوي فقال:

---

(1) البخاري، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد، رقم الحديث: **481**

(2) المرجع نفسه، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: الدين النصيحة، رقم الحديث: **42**

(3) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ص: **114**

(4) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: **95**

"... (ما أضر بالدعوة من شيء مثل ما أضر بها الأنا: الأنا الفردية والأنا الجماعية)، فعند بروز (الأنا) تغيب الجماعة، وتتقوض كل مرجعية، وتبرز عبادة النفس، وعندها يكون الهلاك"[1].

---

(1) محمد أبو الفتح البيانوني، بصائر دعوية، القاهرة، دار السلام، **1422** هـ/**2002** م، ص: **49**

المبحث الثاني:

سلامة منهج الداعية:

الكمال في القرآن

الإخراج من التيه

يسروا ولا تعسروا

رحمة عامة شاملة

شعب الإيمان تحدد المسار

يحمل هذا العلم عدوله

سلامة المنهج شرط أساسي للصواب، وكم من مناهج قارفها الزلل ابتداءً فلم يكن من ورائها طائل، بل سببت سلبياتٍ وربما كوارثَ على الدعوة والدعاة، ونحاول هنا تلمس ملامح أساسية في سلامة المنهج:

أولاً: الكمال في القرآن.

إن الدارس للقرآن الكريم يجد أنه ما من ظرف ولاحالة ولا إشكال ولا محنة قد يمر بها الداعية إلا وبُينت له منارات التوجه السليم فيها:

(وَكُـلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين) [هود:120]

وخُصصت سور كاملة لتروي تجارب أنبياء الله الكرام:

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لقَوْمٍ يُؤْمِنُون) [يوسف:111].

فكتاب الله مَعِينُ الداعية أبداً، وفيه كافة التجارب اللازمة للهداية ورد الناس إليه تعالى..

و "كل علم تسبِقُ إليك الخواطر فيه، وتميل إليه النفس، وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتد به وبالخلفاء [الراشدين] والصحابة والتابعين من بعده، وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى ومتابعته، تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه"[1].

أساليب الدعوة كما وردت في القرآن الكريم هي الأساليب الشرعية التي لا ينبغي العدول عنها: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ) [الشورى:15]

وقد زكاها الله في كتابه، وأثنى على حملتها فقال:

(قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف،108].

ومن الغريب أن الدعوة إلى الله ربانية المصدر، واضحة السبيل، محددة الطرق، مُلزمة في خطواتها، مضمونة العاقبة، ولا يكاد أحد يلتزم بسننها! **أما** السياسة فهي غامضة الطريق، كثيرة المزالق، أكثرها اجتهادي المنطلق، بشري الفهم، سقيم النتيجة، ثم ترى في ساحاتها من يلتزم ويلزم الأمة بما ليس بلازم، وهذا من المصارع العظيمة.

---

(1) عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، مرجع سابق، **90**.

لذا فإن طرق الأنبياء في التحرك هي الطرق الواجبة، حتى في مواجهة الظالمين.

ومثال ذلك:

مواجهة موسى عليه السلام مع فرعون.

والنتيجة التي حصلت: (فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى) [النازعات:25] إنما هي حتمية قرآنية للمتكبر عن سماع خطاب: (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه:44]

وأصحاب نفسية: (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) [طه:64] قهروا بالوعد القرآني لنبي الله: (قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى) [طه:68] فكانت النتيجة: (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) [طه:70]

فالدعوة إلى الله هي المعتصم من الهلكة:

(قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴿٢٢﴾ إِلا بَلاَغاً مِنَ اللهِ وَرِسَالاَتِهِ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) [الجن:23].

ثانياً: الإخراج من التيه.

"إن سيئة واحدة إذا ألقاها واحد منا في ساحة هذا الوجود يوشك أن تصبح بعد سنوات من الزمن جريمة لا تنسب إلى فرد معين، ولا تنحصر في شخص، بل تنصبغ بها ملايين من النفوس الإسلامية، وستكشف لكم الأيام والأعوام القادمة عن أمثلة كثيرة لصدق هذه الحقيقة"[1].

ومن المؤسف أن هذا الأمر لا ينتبه له العديد من الدعاة، والتعصب الشديد يأخذ ببعضهم، ويصبح الحظُّ من قدر الآخرين ديدنَهم، حتى أن المسلم الجديد يكاد يضيع، ويروي أحدهم تجربته العملية في ذلك بين الجماعات المختلفة:

"وكنت أشعر في بعض الأحيان أن كلاً منها كان يحاول جذبي إلى صفوفهم، ففي كثير من الأحيان كان بعضهم يأخذني جانباً ويهمس في أذني محذراً بالقول: ألاّ أقترب كثيراً من هؤلاء الإخوة! وكانت كل فرقة تخبرني أن الفرقة الأخرى ضالة عن الإسلام، وعند ذلك

---

(1) سعيد النورسي (بديع الزمان)، الخطبة الشامية (سلسلة رسائل النور)، ترجمة محمد سعيد رمضان البوطي، دم، دن، دت، **21**. [وقد ألقى النورسي خطبته الشهيرة أثناء زيارته لدمشق عام **1911**م]

في الواقع لم أكن قادراً على تحديد موقفي... وفي كل مرة كانت كل مجموعة تسألني عما قالته المجموعة الأخرى، ثم تقوم بتصحيح بعض الأشياء التي تعلمتها من تلك المجموعة، وسرعان ما تولد لدي انطباع، وهو أنه بالرغم من أن الإسلام ينهى عن الغيبة والنميمة فإن المسلمين نمامون ومغتابون بالعادة، وأن ذلك هو الشغل الشاغل للجالية الإسلامية" [1].

ويعلمنا بديع الزمان من حكمته قائلاً[2]:

"إذا كنت على ثقة بأنك على حق في سلوكك ومعاملتك وأفكارك؛ يجوز لك أن تقول: إني أتبع طريق الحق والعدل، ولكن لا يجوز لك أن تقول: إن مسلكي وحده هو الحق؛ لأن نظرك وحدك مهما كان ثاقباً لا يجوز أن يكون حُكماً عاماً يحكم على المسالك الأخرى بالبطلان".

---

(1) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل (رحلة إلى الإسلام في أميركا)، بيروت–دمشق/دار الفكر المعاصر–دار الفكر، **1422**هـ/**2001**م، ص: **282**–**283**

(2) بديع الزمان سعيد النورسي، سلسلة رسائل النور، رسالة الأخوة، **31**.

ثالثاً: يسروا ولا تعسروا وبشروا ولاتنفروا.

يغلب على بعض الدعاة نوع من التشدد في طرح بعض الأمور، وهذا المنهج في حاجة للمراجعة على هدي الكتاب والسنة:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً) [الأحزاب:21]

ويبين الله تعالى منهجه القويم: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة:185] ذلك أن فقه التعسير لم يكن أبداً بسديد، والتشدد يحسنه كل أحد، والصلابة إنما ينبغي أن تكون في الثوابت القطعية لا الظنيات، وقول الله تعالى لنبيه ﷺ: (طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)[طه:1-2] هو خطاب لكل مسلم.

كنت يوماً ألقي درساً عن الدعوة في المعهد الشرعي، فاستشهدت بكلام لإمام من أئمة المسلمين المعاصرين، فإذا بطالب أميركي حديث عهد بإسلام، يقول باستخفاف: هذا الذي ألف كتاب (الحلال والحلال في الإسلام)، فدهشت لهذا الجهل المركب، فقد نُسفت الطريق أمام هذا الأخ حتى لا يبقى في وجهه إلا العسر يحمله أينما ذهب، ويصد به عن الإسلام قلوباً كان جناها قريباً.

وقد رأيت من أمثال ذلك الطالب كثيراً أضاعوا سنوات من أعمارهم في تعسير الأمور على أنفسهم وعلى الناس، فإذا بهم يعودون إلى منهج اليسر في النهاية؛ لأنه الصواب، وبعضهم ترك الطريق كله.

لقد مُنيت الدعوة بخسائر فادحة من وراء التعسير، والذي وراءه التنفير.

وأسوق هنا مثالاً واحداً مضحكاً مبكياً عن ذلك عندما قامت إحدى البلديات البريطانية بمنح بعض المسلمين بيوتاً شبه مجانية، وفوجئ المسلمون بأن دور الخلاء تواجه القبلة! فسألوا بعض مشايخهم فأفتوا أن ذلك لا يجوز!

وبدأت سلسلة احتجاجات وعرائض[1].!

ولم يفطن أولئك الإخوة إلى الصورة اللامعقولة التي وضعوا فيها الإسلام.

إن بعض المذاهب تقول بالمنع من ذلك في الفضاء وداخل الدور، بينما تقول مذاهب أخرى بمنع ذلك في الصحراء [الفضاء] ولا تمنعه

---

(1) نشرت أخبار تلك الحادثة في العديد من الصحف البريطانية ومنها: مجلة الغارديان الشهيرة THE GUARDIAN، بتاريخ **3** آذار **1994**، وتحت عنوان:Muslims turn to council to realign toilets ؛ أي: المسلمون يلجئون إلى المجلس [البلدي] لإعادة توجيه دور الخلاء [التواليتات].

في العمران [داخل البيوت] [1]، وهذا ما قال عنه الحافظ في الفتح: "وهو أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة"[2]، ولكن لم ير بعض المشايخ أي غضاضة في خوض معركة طاحنة للحفاظ على الإسلام ضمن فهمهم، ولو شوهوا صورته القائمة على اليسر، وأرجعوا سَيْرَهُ سنوات إلى الوراء، ولم يدركوا أن الأمر ليس مسألة فقهية، بل حضارية، وصورة الإسلام كلها تحت الامتحان.

ولقد عقب الإمام ابن حجر العسقلاني على حديث سلمان ﷺ إذ يطلب من أبي الدرداء ﷺ أن يعطي كل ذي حق حقه، بقوله:

"وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور"[3].

---

(1) للتوسع انظر: محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دم، المطبعة العثمانية المصرية، **1357**هـ، باب: نهي المتخلي عن استقبال القبلة واستدبارها، **1**، **76**–**80**.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الوضوء، باب: لا تستقبل القبلة بغائط أو بول. رقم الحديث: **144** وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق، وعن عائشة وعروة وربيعة وداود الجواز مطلقاً.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر، رقم الحديث: **1968**

إن الأمور المستحبه يُنهى عنها إذا أدى ذلك إلى الملل فكيف بما يؤدي إلى النفور..

وماذا عما يصد عن سبيل الله..

وماذا نصنع بالمرجوح والمفضول..

وكيف بما يؤدي إلى فتنة في الدين وازدراء بالمسلمين، والتعسير بدل التيسير، والتنفير بدل التبشير.!؟

وقد سارت بقولة سفيان الركبان[1]:

"إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد".

---

(1) يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب،**1**، **79**.

رابعاً: رحمة عامة شاملة.

لقد قال تعالى في حق رسوله الكريم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين) [الأنبياء:107]

وبكى ﷺ وقام الليل مفتقراً إلى الله تعالى: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم) [المائدة:118].

لا ينبغي لبعض الظروف والمآسي التي يتعرض لها المسلمون أن تصرفهم عن أصل رسالتهم وواجبهم في القيام بعمل الأنبياء.

يذكر الأستاذ أحمد مظهر العظمة[1] قصة داعية لم يشتهر اسمه بين الناس، ولكن لن يمحى في ديوان العاملين فعله، وهو الشيخ (سعيد القواف) والذي كان يعظ حلقة في جامع بني أمية الكبير بدمشق عندما مرت به مجموعة من السائحين الأميركيين[2] فدعاهم إلى الجلوس حوله، وأخذ يحدثهم عن محبة النبي ﷺ للناس كلهم، ودعوته إلى سلامة الإنسانية كلها، وأخلاقه ﷺ إلى أن قالوا:

إنا نؤمن بمحمد ونعترف بعظمته.!

---

(1) أحمد مظهر العظمة (**1911**–**1982**م)، عالم ومحام ومدرس وشاعر وخطيب، من كبار المفكرين والمربين الإسلاميين في بلاد الشام، أحد مؤسسي جمعية التمدن الإسلامي وأمين سرها خمسين عاماً، كان صاحب أخلاق رفيعة، ولي الوزارة في سورية أوائل الستينات، ورئاسة هيئة تفتيش الدولة، وله مؤلفات كثيرة، وانظر لذلك: أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، جدة، دار المنارة، **1418**هـ/**1998**م، **34**.

(2) حدثت هذه القصة قبل ما يقارب سبعين عاماً.!

وغادروه شاكرين، ثم ترك أحدهم له رسالة جاء فيها:

"... ونرجو ألا تكون أصبت بسوء بعد مفارقتنا إياك، إذ ظهر لنا أن حسن الشعور الذي أظهرته نحونا لم يرق لهم [بعض من كانوا في المسجد]، ولقد امتلأت قلوبنا سروراً عندما رأيناك شديد الغيرة تستمد حديثك من الله تعالى، كنت أود جداً أن أكتب جميع ما ذكرته لنا كي أتلوه على طلاب مدرسة أتولى إدارتها، فيها أربعة عشر ألف طالب، وسأقرر لهم ما أذكره مما تفضلت به علينا؛ لكي يخرج من قلوبهم ما أُدخل فيها من ضغن على الإسلام بسبب سوء التفاهم، وإني مستعد لتقديم كل خدمة تطلبها مني... وذلك للغرض العظيم الذي أنت قائم لأجله، وهو محبة الناس أجمع.

وعقب الأستاذ العظمة بعبارات منها: "لقد أمسينا في عيشنا الغفول حين أصبحنا لا نشعر أننا جنود سلام نعمل لله وحده، فمتى نعود جنوداً فلا نبقى عبيداً للنفس والهوى والدخيل"[1].

إن البشرية تئن حقيقة وتتألم، وهي في حاجة لمن يمد لها يد الرحمة؛ فلقد طحنها المفسدون في الأرض، ومحوا كرامتها، ولابد من منقذ.. فمن تراه يكون غير المؤمنين المصلحين الرحماء.!

---

(1) أحمد مظهر العظمة، "شيخ يسمع أميركا صوت السلام الإسلامي"، مجلة التمدن الإسلامي، دمشق، **3**، (**3**، جمادى الأولى **1356**هـ) ص: **65**–**66**، وقد سقنا الموضوع بتصرف يسير.

خامساً: شُعَبُ الإيمان تحدد المسار.

إن شعب الإيمان قد انحسر العديد منها عملياً في حياة بعض المسلمين، فـ "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[1].

إن إعطاء بعض الأمور أكثر من أهميتها أو أقل يؤدي في أحيان عديدة إلى اختلالات في فقه الإسلام، وإن العجز عن رؤية الصورة الكلية أو حملها بالشكل الصحيح أدى إلى مناهج ضيقة وتشويهات مريعة يدفع الإسلام ثمناً مرهقاً لها.

"فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بَـيِّنَها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، فإذا حصل للناظر من جملتها حكم من الأحكام فذلك الذي نُظمت به حين استنبطت.

وما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوي، فكما أن الإنسان لا يكون إنساناً حتى يُستنطقَ فلا ينطق باليد وحدها... ولا باللسان

---

(1) يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، دم، المطبعة الكستلية، **1283**هـ، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان. (**1**/ **126**)

وحده، بل بجملته التي سمي بها إنساناً، كذلك الشريعة لا يُطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها، لا من دليل منها أي دليل كان، وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل، فإنما هو توهمي لا حقيقي، كاليد إذا استنطقت فإنما تنطق توهماً لا حقيقة، من حيث علمت أنها يد إنسان لا من حيث هي إنسان؛ لأنه محال.

فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضاً كأعضاء الإنسان إذا صُوِّرت صورةً مثمرة.

وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما، أيَّ دليل كان عفواً وأولياً، وإن كان ثَم ما يعارضه من كلي أو جزئي، فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكماً حقيقياً، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا مَن في قلبه زيغ كما شهد الله به: (وَمَن أصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً) [النساء:122])[1].

أكثر الثغرات الملاحظة في ساحة العمل الدعوي هو الفقه الاجتزائي، وعدم إدراك علاقة الفروع بالأصول، وانفصال المبدأ عن السلوك، والتركيز غير المتوازن، وانقلاب أحجام الأحكام الشرعية.

وإذا ترافق ذلك مع سذاجة واعتداد بالنفس فإن عجزاً معيباً سيطوق حركتنا، ولا مخرج من ذلك إلا بإعادة التفقه بشعب الإيمان.

---

(1) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، دت، **1**، **244**– **245**.

سادساً: يحمل هذا العلم عدوله.

هناك خلط عند عوام الدعاة بين قوله تعالى: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون) [النحل:43] وقوله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية[1]).

وقد ذكر الإمام العسقلاني في شرح الحديث عن (المعافى النهرواني) في كتاب (الجليس) أن:

(الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معانٍ: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة.... ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها: آية لدلالتها وفصلها وإبانتها، وقال في الحديث (ولو آية) أي واحدة ليسارع كل سامعٍ إلى تبليغ ما وقع له من الآي، ولو قلَّ؛ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[2].

فما نراه من مسارعة البعض إلى الفتيا الجازمة في كل أمر مع ضيق العطن وقلة العلم، وانتفاخ الأوداج، وضعف الفهم مستدلين بالحديث الشريف السابق.. ليس من البلاغ في شيء؛ لأن التبليغ إنما يكون في الأمور القطعية التي لا يُعذر بجهلها الناس فتقوم الحجة على الجميع لإبلاغها ورفع الجهالة عمن لابسته.

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث:**3461**

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، **6/ 575**

أما دقائق الأمور وغوامضها، وما يتعلق بظروف وأحوال خاصة فالأمر فيه موكول إلى أهل العلم بلا خلاف؛ امتثالاً للآية الكريمة.

وقد نقل القاسمي عن القاشاني في تفسير الآية **(122)** من سورة التوبة ما يلي[1]:

(فالمراد من التفقه علم راسخ في القلب، ضارب بعروقه في النفس، ظاهرٌ أثره على الجوارح، بحيث لا يُمَكِّنُ صاحبه ارتكاب ما يخالف ذلك العلم، وإلا لم يكن عالماً) .

العامي من الدعاة لا يطيق أن يرى له مخالفاً، وربما وصمه بالبدعة لأية مخالفة لما هو عليه، ولم يفرق بين بدعة اللغة وبدعة الدين، ولو فرَّقَ لجزم بحبوط عمل مخالفه، وأن مصيره جهنم بلا خلاف، وكل ذلك قمعاً للبدعة وظناً أنه يُبَلِّغُ الآية التي يعلمها.!

أما ابن تيمية رحمه الله فيقول[2]: (وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار، فأسلم على يديه خلقٌ كثير، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً).

---

(1) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، **8/ 3300**

(2) أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى، **96/13، 201/35.**

ومن لطائف ما نُقل عن العلماء أن الخليفة المأمون [رغم تعصبه] كان رجلاً عالماً وعنده صفات تليق بالدعاة، "وقد كان يَرُدُّ على الملحدين وأهل الأهواء، وإذا قال لمرتد كان أسلم على يديه: أخبرني ما الذي أوحشك مما كنت به آنساً من ديننا؟

وقال له المرتد غير هياب ولا وجل: أوحشني منكم ما رأيت من الاختلاف في دينكم!

لم يتنكر له المأمون، وإنما كان يرد عليه فلا يزال يخرج من حجة إلى حجة حتى يرجع به إلى الإسلام"[1].

فرحم الله من قال: إذا سكتَ من لا يعلم سقط الخلاف.

---

(1) شفيق جبري، الجاحظ معلم العقل والأدب، دمشق، دار البشائر، ط**2**، **1422**هـ/**2001**م، ص: **83**

المبحث الثالث:

أسلوب الداعية:

اعتماد طريقة المصحف البشري

ندعو الناس من خلال دنياهم

حديث لا فتنة فيه

الهداية والتربية لا التعبئة والاستعداء

وعاء للخير كله

التدرج في الطرح

المبادرة

خير دائم وإن قل

يقدم المنهج السليم ضمانات كبرى في تحقيق المطلب الشرعي، ولكن ذلك لابد من اقترانه بأسلوب سليم أيضاً، وكم من حق ضاع بسبب أسلوب لم يواكب المقصد والغاية، ويقرر ذلك قوله تعالى:(فَبِمَا رَحْمَةٍ منَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران:159] وفي ذلك أيها عبرة لحامل الحق والهداية، ومما يزكي أسلوب الداعية مراعاته ما يلي:

الأمر الأول: اعتماد طريقة المصحف البشري.

يلاحظ في عديد من الدول الإسلامية انتشار هائل لمعاهد تحفيظ القرآن الكريم، ولَفَت أحد الإخوة انتباهي إلى أنه لم يقرأ على لافتة واحدة اسم معهد لتفهيم القرآن الكريم.!

لماذا لا تمتد عالمية الدعوة فتكون في مستواها الأول.؟

ولماذا لا يتحول القرآن ليكون محور الحياة لا للمسلمين فقط، بل للبشرية جمعاء.؟

إن كثيرين من المسلمين يردون الانحسار إلى الأسباب الخارجية والكيد والقوى المرصودة لحرب الاسلام، والآية الكريمة توضح أن السبب الأول لكل علة مرده إلى أمر داخلي:

(أَوَ لما أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) [آل عمران:165]

ومن أهم عوامل الضعف الداخلية اختفاء كثير من المصاحف البشرية، وتكريم القرآن والاهتداء به لا يكون بوضعه على الجدران، بل بأن يسكن القلوبَ، وتتحرك به الجوارح، وتبذل له النفوس. وقد حذر سلف الأمة من العلل قائلين:"أُنزل القرآن ليُعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً".

تحوُّل الإنسان المسلم إلى مصحف بشري أولوية في كل توجه، وأغلب البلاد الاسلامية فتحتها المصاحف البشرية قبل أن تصلها جيوش المسلمين، والسيوف ربما تُقهر، أما المصاحف البشرية فلا يصدها عائق، وتدخل القلوب بلا استئذان.

الإمام بديع الزمان (سعيد النورسي) كان مصحفاً بشرياً، قاوم سياسة الماسونيين في تركية، ولما أرسلوا له (قرهصو) اليهودي لمساومته، خرج من عنده وهو يقول: "لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني بحديثه في الإسلام" [1].

---

(1) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، إستانبول، دار سوزلر، ط**2**، **1987**، **30**.

كان النورسي يتدفق إيماناً وإخلاصاً، ولما سألوه في السجن عما إذا كانت له طريقة صوفية قال[1]:

"إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لاحفظ الطريقة.. إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير إيمان".

إن الإخلاص مفتاح أساسي لفقه القرآن، والإخلاص هو حادي العمل، ويقول الإمام الجيلاني[2]:

(كم تتعلم ولا تعمل، اِطو ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص، وإلا فلا فلاح لك".

---

(1) المرجع السابق، **80**.

(2) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، **200**.

الأمر الثاني: ندعو الناس من خلال دنياهم

قال الإمام ابن القيم[1]:

"العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا؛ فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فتَرْك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة... العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم، فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا، فتشق عليهم الإجابة".

الحياة الطيبة في الدنيا هي بعض موعود الله لمن استقام:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً من ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون) [النحل:97].

قال سعيد بن جبير وعطاء[2]:

(هي الرزق الحلال، والعيش في الطاعة، وحلاوة الطاعة، والقناعة).

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الحنبلي، الفوائد، تحقيق بشير محمد عيون، بيروت، مكتبة دار البيان، ط**2**، **1408/1984**، **299**.

(2) عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، **2**،**923**.

ومن فقه الداعية أن يستجلب القلوب إلى الله من فِطرها النقية.

وقد أتقن الشيخ محمد الفاروقي من شيوخ البنجاب هذا النظر الإيماني، "وقد كان من كبار المحبين وعشاق الهداية، وكان له صوت شجي عذب، زار قرية، ورأى اجتماع الناس تحت شجرة ليصغوا إلى قصيدة (هير رانجها) الغزلية للشاعر وارث شاه، فذهب إليهم ثم استأذنهم بإنشاد تلك القصيدة، فملك القلوب بإنشاده الحلو الشجي، وطرب له الناس، ثم أخذ يتلو القرآن العظيم، فأسَرَ القلوب بلوعته، وبعدها أخذ في الوعظ، ففتحت مغاليق النفوس العطشى إلى الإيمان والهدى، فإذا بالقرية كلها تبايعه"[1] .

---

(1) أبو الحسن الندوي، ربانية لا رهبانية، بيروت، دار الفتح، ط**3**، **1398**هـ/**1978**م،**49** (بتصرف يسير).

الأمر الثالث: حديث لا فتنة فيه

أمر الله تعالى أن (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين) [النحل:125].

وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم:4]

وجاء عن علي ﷺ أنه قال[1]:

(حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتُحبُّون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله).

لقد غلب عند بعض المسلمين فقهٌ معين عمموه حتى صار عند كثيرين أصلاً يظنون الإسلام لا يتسع لغيره، وطالما حصل بذلك صد غير مقصود عن سبيل الله، وحرج وضيق، بل إغلاق أبواب وتعسير سير، ومثال ذلك ما يظنه البعض من أن رد السلام على غير المسلم لا يجوز بحال! والتبس الأمر على آخرين وفيه تفصيل، وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن المدى الذي يمكن للمسلمين أن يتعاملوا به مع من حولهم من غير المسلمين.؟

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، **272/1**، وهو حديث علقه الإمام البخاري.

فقال في جملة جوابه:

"يقول الله: (لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم من دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِين) [الممتحنة:8]

أما مبرتهم فأنْ نحسن إليهم.

وأما الإقساط إليهم فأنْ نعاملهم بالعدل، ومعاملة الإنسان لغيره لا تخلو من ثلاث حالات:

إما أن يعامل بالإحسان.

وإما أن يعامل بالعدل.

وإما أن يعامل بالجور.

فالمعاملة بالجور محرمة، حتى في حق غير المسلمين لا يجوز لك أن تعاملهم بالجور والظلم، حتى أن ابن القيم رحمه الله لما تكلم على قول النبي ﷺ : (إذا سلم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) قال: هذا إذا قالوا السلام غيرَ واضحٍ بحيث يشتمل ويظن أنهم قالوا: (السام) أما إذا قالوا: (السلام عليكم) بلفظ صريح فإنك تقول: (وعليكم السلام) بلفظ صريح، لقوله تعالى:

(وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)[النساء:86]

وقال: هذا هو مقتضى العدل، وأما أمر الرسول ﷺ بقوله: إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم، فقد بين النبي ﷺ علته في حديث ابن عمر قال: إن أهل الكتاب يقولون: (السام عليكم) فإذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم.

فبين الرسول ﷺ علة هذا الحكم، على هذا نقول: إنه لاحرج إذا سلموا علينا بلفظ صريح أن نرد عليهم السلام بلفظ صريح". [1]

إن عالمية الرسالة تقتضي انفتاحاً واستيعاباً أشمل من النظرة الأحادية التي تساهم في انكماش مد الإسلام في الأرض، وعالمية الرسالة تقتضي اغتنام كل جوانب الفقه ومدارسه الواسعة، ليكون الإسلام بحق ديناً عالمياً صالحاً لكل زمان ومكان.

---

(1) محمد بن صالح العثيمين وآخرين، الأقليات المسلمة في العالم (بحوث وتوصيات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي)، الرياض، دار الندوة العالمية، **1420**هـ/**1999**م، **3**،**1339**.

الأمر الرابع: الهداية والتربية لا التعبئة والاستعداء.

من أسهل الأمور الاشتباك مع الناس، وهذا مما لا تستقيم الدعوة به، ولقد قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهَ فَيَسُبُّواْ الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون) [الأنعام:108]

إن صبر الداعية واستيعابه للظرف يجعله في أحيان كثيرة يكسب الأطراف الأخرى، وإن كثيرين من الناس انحرفوا لأنهم لم يجدوا يداً حانية هادية تمتد إليهم لتنقذهم من ظلمات الضياع.

ويذكر الداعية المرحوم (عمر بهاء الدين الأميري)[1] أنه كان متوجهاً للتعزية بالشيخ (البشير الإبراهيمي) في الجزائر، وتوقفت الطائرة ليلة في جنيف، وكان يشرب البرتقال وحيداً عندما جلست بجانبه إحدى المضيفات طالبة منه أن يقدم لها كأساً من الخمر، فقال لها: "معاذ الله.. كيف أقدم الأذى للناس وقد صنتُ عنه نفسي.

---

(1) عمر بهاء الأميري، شاعر محلق، وداعية كبير ومفكر إسلامي، ولد في حلب عام **1918**م، ودرس فيها الحقوق، ثم نال الدكتوراه في الأدب من السوربون، وعمل محامياً، وأرسل وزيراً مفوضاً إلى السعودية والباكستان، وعمل أستاذاً للدراسات الإسلامية والحضارة الإسلامية في عدة جامعات في المغرب والسعودية، وله كتب عديدة ودواوين شعر من أشهرها: مع الله، وقد توفي عام **1992**م.

قالت: وماذا يهمك من أمري.؟

قلت: نحن من أسرة واحدة.!

عجبت [المضيفة]، وسألت: كيف.؟

قلت: أسرة الإنسانية، إنها كلها أسرة المسلم.

قالت: ومن أنبأك أني إنسانة.؟ لقد أُنسيتُ ذلك من زمن طويل.!

قلت: بل إنسانة، والمسلم لا ينسى الحق.

قالت: دعك من إنسانيتي.. أنا هنا لأمارس حيوانيتي...!

قلت: وليس مكانك هنا.!

قالت: وأين.؟

قلت: إلى جوار سرير طفل، في كنف زوج.!

فأخذتها حُرقة، وتساقطت من عينيها دموع، وتمتمت: ما أرحمك، وما أظلمك.! ذكرتني بإنسانيتي فأحييتني حتى أبكيتني.! ولكن ما الجدوى؟ إنسانة ولا أستطيع أن أعيش إنسانيتي ربع ساعة..."[1].

---

(1) عمر بهاء الدين الأميري، الإسلام في المعترك الحضاري (دراسات حضارية معاصرة)، بيروت، دار الفتح، **1388**هـ/**1968**م، **40**.

وللإمام الجيلاني نظر دقيق في مثل تلك الأحوال فقد ذكر أنه: "لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف"[1]؛ لأن: "المتزهد المبتدئ في زهده يهرب من الخلق، والعارف يطلبهم"[2].

إننا نحتاج حقيقة إلى روح الإيمان العظيمة الآسرة، وعندها ستتبدل الحياة على أيدينا إلى الأصلح مصداقاً لقوله تعالى:

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[السجدة:24].

---

(1) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، **179**. وكذلك **73**.

(2) معناه في الفتح الرباني، **73**.

الأمر الخامس: وعاء للخير كله.

هناك معان يُفترض أن تعانق كل ذرة فينا، ولنأخذ مثالاً عن ذلك حب الجمال في الحياة، والذي علينا أن نأخذ منه بالحظ الأوفى، فالمُشاهَد أن أغلب الانحرافات تأتي ممن حُرِم نعمة تذوقه، فهو قمة التناغم والتوافق والتألق والعطاء، و"إن الله جميل يحب الجمال"[1].

وعلى هذا فالإيمان هو ذروة الجمال، والكفر هو غاية القبح، وتذوق الجمال الإيماني مدعاة لكل بر ومعروف، وفي ديننا يعلمنا الرسول ﷺ أن "كل معروف صدقة"[2]،وهذا يمتد فيشمل حتى الحيوان البهيم فـ"بينما كلب يطيف بِرَكِيَّة [بئر]، كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها [خفها] فسقته، فغُفِر لها به"[3].

لا يمكن للمد الدعوي أن يتسع ويتعمق في حياة الأمم حتى يكون أهل الدعوة أوعيةً لكل خير، وسباقون لكل معروف، والمؤسف أن هذا أمر شديد الضمور، فـ "لماذا لم يتضح في حس

---

(1) يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم،كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر، **172**.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الأدب، باب: كل معروف صدقة، رقم الحديث: **6021**.

(3) المرجع نفسه، كتاب: أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: **3467**.

المسلمين أن محاربة جنون التسلح والتجارب النووية، وإيقاف التلوث والحفاظ على البيئة، ومنع انتشار المخدرات وغيرها.. فروض حضارية، ومحور أساس في عالمية الإسلام وشموله"[1] .

لا يشارك المسلمون في تلك النشاطات التي هي من صميم دينهم، في نقير ولا قطمير، وإن اعتذر بعضهم بضعف أحوال بلاد المسلمين! فما عذره في بلاد الغرب التي فيها جاليات إسلامية متمكنة، أَصِرْنا إلى حال من الذهول نسينا فيه أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟ أم هو تبرير للنفس لا تقوم له حجة؟

إن الدعوة إلى الهداية ليست كلاماً، بل حالاً، وروحاً تدب في الموات فتحييه.

وهي ليست كذلك جزئيات مبعثرة، بل عقيدة صالحة تمتد في كل زمان ومكان، وتوجه المسلم في لباسه الجميل، ورائحته الطيبة، وابتسامته الدائمة، وقلبه النظيف، وفكره الرحب، كما توجه المجتمعات البشرية كلها إلى الحياة الطيبة والصالحة.

---

(1) أحمد معاذ الخطيب الحسني (بالاشتراك مع مؤلفين آخرين)، مالا نعلمه لأولادنا (فصل: قضايا كبرى في بناء أطفالنا)، جدة، مركز الراية للتنمية الفكرية، **1423**هـ/**2003**م، **30**.

الأمر السادس: التدرج في الطرح.

إن الدهشة تعتري الناظر في أحوال الأمة، حين يرى الخلط العجيب عند بعض الدعاة بين الحكم الشرعي، والتدرج في طرح ذلك الحكم، ويؤدي ذلك الخلط إلى نتائج كارثية على الدعوة.

وعلى سبيل المثال فإن تحريم الخمر أمر لا يختلف فيه مسلمان، ولكن حمل ذلك الحكم إلى الأفراد والمجتمعات في حاجة إلى نظر حسب الحال والظرف، وفي أحيان عديدة يُعد السكوت عن بيان الحكم هو الأحكم في فقه الدعوة، مع العلم أنه في حال السؤال عن ذلك الحكم فلا بد من بيانه قولاً واحداً، وليس لأحد صلاحية إلغائه، ولكن بعض الدعاة يبدؤون من الفروع فتحصل فتنة فنكوص.

ومن أكثر الأمثلة إيلاماً ما ذكره بعض المؤرخين من أن بعض المسلمين البلغار حاولوا قريباً من عام **988**م إدخال الامبراطور فلاديمير إلى الإسلام "ولم يقف في سبيل تحوله هو ورعاياه إلى هذا الدين إلا الختان، وتحريم الخمر المستعملَين عند المسلمين، وصرح بأن الروس لا يعدلون عنهما" [1].

---

(1) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ط**3**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، **1970**، **274**. =====

لقد جعل بعض المسلمين الختان فريضة، ولم يستطيعوا أن يقنعوه بترك الخمرة المحرمة، وكان يسعهم أن يخبروه بأن الله حرمها لِحِكَم عظيمة، وإذا لم يستطع أحد ما تركها فليحاول قدر ما يستطيع، وقد نحصل بذلك على جيل مسلم فيه شربة خمر، وهو خير من أمة كافرة.

وللإمام ابن تيمية نص ذهبي في المسألة يقول فيه إن "التائب من الذنوب والمتعلم والمسترشد، لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويُذكر له جميع العلم؛ فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يُطقه لم يكن واجباً عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجباً لم يكن للعالم أو الأمير أن يوجبه جميعه ابتداءً، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن عِلمه وعَمله إلى وقت الإمكان، كما عفا الرسول ﷺ عما عفا عنه إلى وقت بيانه، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل، وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط، فتدبر هذا الأصل فإنه نافع.

ولزيادة البيان حول واقع الروس في ذلك الوقت ننصح بمطالعة كتاب المؤرخ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المجلد الحادي والعشرين الخاص بالمسلمين في الإمبراطورية الروسية.

ومن هنا يتبين سقوط كثير من هذه الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل؛ لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم، فإن العجز مسقط للأمر والنهي، وإن كان واجباً في الأصل، والله أعلم"[1] .

وقد سألتني امرأة غير مسلمة عما إن كان شرب القليل من الخمر خير لها من شرب الكثير منه؟[2] فقلت لها : القليل والكثير سواء!، ثم وجدت أني قد أخطأت في الجواب! فقد ذكر ابن القيم أن للمسلم منع زوجته النصرانية من السُكر، وأن المنصوص عليه في رواية مهنأ: أنه لا يمنعها [من شرب الخمر]، فإنه قال في رجل تزوج نصرانية: أله أن يمنعها من شرب الخمر؟

قال: يأمرها، فقيل له: لا تقبل منه، أله أن يمنعها؟

قال: لا. وظاهر هذا أنه لم يجعل له منعها"[3] .

---

(1) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرباط، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، د.ت، **20**،**60**.

(2) يُسمى هؤلاء: **social drinkers** ويعني هذا أنهم يشربون بعض الخمر مجاراة للمناسبات الاجتماعية، وليس ولعاً بها.

(3) انظر: ابن قيم الجوزية،أحكام أهل الذمة،تحقيق صبحي الصالح،بيروت، ط**2**،**1401**هـ/**1981**م، **2**،**439**

الأمر السابع: المبادرة.

ليست الدعوة شقشقة كلام، وإنما هي خير عميم ينتظره الداعية بشوق عجيب، ودعاة مجالس الكلام لا يفلح على يدهم الكثير، والدعوة في حاجة للمبادرة، والمبادرة أساسها الحركة الصحيحة: (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المرسَلِين) [يس:20].

وقد فَـقَّه الإمام الجيلاني مريديه بذلك فقال[1]:

"عليك بالصف الأول؛ لأنه صف الرجال الشجعان، وفارق الصف الأخير؛ فإنه صف الأجبان [الجبناء]".

هناك علل نكثر الشكوى منها ولكن لا ننظر في أسبابها، وقد فطن الإمام السبكي لذلك:

"فمن القبائح أن بلادنا ملأى من علماء الإسلام، ولا نرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرة عالم من علمائنا، بل إنما يسلم من يسلم إما لأمر من الله تعالى، لا مدخل لأحد فيه، أو لغرض دنيوي، ثم ليت من يسلم من هؤلاء يرى فقيهاً يمسكه ويحدثه ويعرفه دين الإسلام، لينشرح صدره لما دخل فيه ؛ بل –والله– يتركونه هَمَلاً لا

---

(1) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني،**220**.

يُدرى ما باطنه: هل هو كما يُظهر من الإسلام، أو كما كان عليه من الكفر.؟ لأنهم لم يُروه من الآيات والبراهين ما يشرح صدره"[1].

أما الندوي فعثر على الدواء "وقد ظهر أن أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة، والتقدم، والهجوم، لا تحافظ على وجودها، وعلى مبدئها وعقيدتها، وإن موقف المدافعِ موقفُ الضعيف المعرض للخطر، وكل من لا يكون داعياً يكون هدفاً لدعوة أخرى، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه، ومتانة العقيدة والاستماتة في سبيلها هي الدعوة إليها"[2].

---

(1) عبد الوهاب، تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، القاهرة، الناشر: جماعة الأزهر للنشر والتأليف، دار الكتاب العربي، **1367**هـ/**1948**م، **76**.

(2) أبو الحسن الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط**2**، **1397**هـ/**1977**م، **18**.

الأمر الثامن: دائم وإن قل (الاستمرار).

من آفات بعض الدعاة البداية بمشاريع دعوية كثيرة ثم الانصراف عنها ولما تتم، ولقد أمرنا الله تعالى بالاستمرار في العبادة والخير فقال: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين) [الحِجر:99] .

وقد سئل النبي ﷺ: "أي الأعمال أحب إلى الله.؟

قال: أدومها وإن قل، وقال: اكلَفوا من الأعمال ما تطيقون"[1].

لابد للداعية من الاستمرار ومن معارضات ذلك قلة الهمة، حتى قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "البكاء ينبغي أن يكون على خساسة الهمم"[2].

وإن ضعف الأمة الداخلي والكيد الخارجي علاجه الاستمرار في حمل الحق والاصرار العنيد على ذلك، وهذا أمر ممكن بالتربية والتعهد لهمم السالكين:

(وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الرقاق، باب: القصد، رقم الحديث: **6465**.

(2) ابن الجوزي، صيد الخاطر، **1**، **300**.

ومن عجائب الدعاة واستمرارهم المهندس (محمد توفيق المصري) مؤسس دار تبليغ الإسلام، وقد استمر في مراسلة أحد الأوربيين سبعة عشر عاماً حتى ظفر به مسلماً موحداً، وفي هذا قال رحمه الله:

"إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب، لا أترك الأجنبي الذي يراسلني بصدد دعوة الإسلام إلا بعدما يعلن الشهادتين"[1] .

---

(1) سيد بن حسين العفاني، صلاح الأمة في علو الهمة، **2**،**119**.

المبحث الرابع:

مصارع الداعية:

آفات القلوب

عدم فهم المجتمع ثقافة وعادات

عدم فهم المجتمع إشكالات وضرورات

التعجل

الغرق في السياسة

حمل ما لا يطيق

تواجه الداعية أبواب فتن ومصارع عظيمة إن لم ينتبه إليها أودى بذخيرة الخير كلها، وكم من دعاة بذلوا كثيراً وغفلوا عن بوابات الهلكة فأردَتهم وأحالت أعمالهم يباباً، ومن أخطر المصارع التي قد يمتحن بها الدعاة إلى الله:

أولاً: آفات القلوب.

إن المتصدي لهداية الخلق ربما نسي نفسه، وصار يظن أنه يداويهم وهو عليل، وقد تتعسر الأمور فينسب تعسرها إلى فساد الناس، وينسى أن يفتش عما في قلبه، وربما ظن لآفات فيه أنه من أهل الطريق، وما شم بعدُ رائحتها، و"العلم كالغيث ينزل من السماء، حلواً صافياً، فتشربه الأشجار بعروقها، فتحوله على قدر طعومها، فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة"[1] .

وقال تعالى في كتابه العظيم: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً) [الإسراء:84] قال "الحسن وقتادة: نيته"[2].

---

(1) صالح أحمد الشامي، المهذب من إحياء علوم الدين، دمشق، دار القلم/ بيروت، الدار الشامية، **1413**هـ/**1993**م، **2**،**205**.

(2) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط**2**، القاهرة، دار الكتب المصرية، **1359**هـ/**1940**م، **10**، **322**.

ويؤكد الإمام الجيلاني على الإصلاح القلبي: "اشتغِل بطهارة قلبك أولاً؛ فإنه فريضة ثم تعرض للمعرفة. إذا ضيعتَ الأصل لا يُقبل منك الاشتغال بالفرع، لا تنفع طهارة الجوارح مع نجاسة القلب، طَهّر جوارحك بالسنة وقلبك بالعمل بالقرآن، احفظ قلبك حتى تنحفظ جوارحك. كل إناء ينضح بما فيه" [1].

ومن أعظم الآفات التكبر، قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [الأعراف:146].

ويبين الإمام الغزالي رحمه الله أن التكبر ينقسم إلى باطن وظاهر:

"فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح... وآفته عظيمة، وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق" [2] ، "ومن اعتقد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله" [3].

وقد أخبرت عن أشخاص يعملون في الدعوة، فإذا حضروا بدؤوا بإهانة الحاضرين، وتوبيخهم بسبب ما يعملونه من الذنوب! التي سببت ثقلاً [كذا] في المجلس، وتعكيراً لقلوب الدعاة!

---

(1) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني،، **207**.

(2) صالح أحمد الشامي، المهذب من إحياء علوم الدين، **202**.

(3) المرجع نفسه، **2**،**206**.

ويا ليت أولئك الأشخاص يتركون ذلك المنكر ويروضون أنفسهم على التواضع والخُلق الكريم.

وقد سمعت من جدي لأمي الشيخ ياسين سويد رحمه الله، أنه كان في مجلس للعلامة الشيخ إبراهيم الغلاييني[1] رحمه الله، فأتى طالب علم من الأعاجم، واقترب من الشيخ حتى ألصق ركبتيه بركبتيه، واضعاً راحتيه عليهما، وأراد أن يقول: (أنا مقصر مثل الكلب)، فغلط في الكلام، وقال للشيخ: (أنت مقصر مثل الكلب)، فأخذ الشيخ فوراً حال عظيم من الافتقار وبكى قائلاً: (يا ليتني يا بني أكون مثل الكلب حتى لا يحاسبني الله على ذنوبي، لأنه إن حاسبني ولم يغفر لي لأكونن شراً من الكلب!) فبكى كل من في المجلس، فإن الحال ينتقل من القلب إلى القلب كما ينتقل النور من سراج إلى سراج.

ليس الخُلق الحسن من النوافل ، بل مقصد للبعثة عظيم، وقد قال الهادي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2].

---

(1) العلامة الشيخ إبراهيم الغلاييني (**1882**–**1985**م)، مفتي وخطيب وادي العجم، ومن مؤسسي رابطة العلماء، شيخ الطريقة النقشبندية، أخذ عن كبار علماء الشام، وكان شديد التواضع في نفسه، مع هيبة عظيمة في نفوس الناس، ولم يكن يسبق في الجود والكرم، وكان مضرب المثل في الخلق الحسن، وقضاء حوائج الناس، والغيرة على حرمات الله، وأكرمه الله بأبناء ثم أحفاد علماء.

(2) قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة.

ومن المعيب في حق المسلمين أن يحوز بعضهم الشهادات، وتكون له أعلى أسانيد الإجازات، ويفوتهم الخلق الحسن مع الناس، بل مع زوجاتهم وأبنائهم، وقد صرف الله قلوب الناس عن رجل كان يتحدث عن الخلق الحسن، لكنه كان أغلظ الناس في بيته، حتى أنه كَسَّرَ كرسياً من الخشب على أضلاع زوجته!

إن الإسلام كله لا يستقيم دون خلق حسن، كما ثبت عن الهادي ﷺ إذ يقول : "آية المنافق ثلاث، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"[1] .

إننا نهين ديننا إذ نتكلم عنه، وفينا من يكذب، أو يُخلف، أو يخون، بل من يسرق الناس أينما حل زاعماً حل أموالهم، وهو يعلم أن السرقة حرام وأموال الناس مصانة ومحترمة أينما كانوا.

ورحم الله فقيه زمانه سفيان الثوري إذ سُئل عن فضل الصف الأول ، فقال : "انظر رغيفك من أين هو فكله، وصل في أي صف شئت، ولا حرج عليك" [2].

(مجمع الزوائد، **15،9**)

(1) مسلم، كتاب الإيمان، بيان خصال المنافق، الحديث **59**.

(2) عبد الوهاب الشعراني، تنبيه المغترين، **87**.

ثانياً: عدم فهم المجتمعات ثقافةً وعاداتٍ و ـباعاً.

تختلف طبائع المجتمعات البشرية وثقافاتها وعاداتها، والمنهج الجامع في العلاقة معها هو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير) [الحُجُرات:13]

وفي كل مجتمع روابط ثقافية واجتماعية يحافظ الأفراد والجماعات من خلالها على هوية خاصة، ويلاحظ أنه "لم يأخذ أكثر فقهائنا عالمية الإسلام بعين الاعتبار -محدداً منهاجياً- في تنظيرهم الفقهي لعلاقة المسلمين بغيرهم، بل عبروا عن نو ع من الانطواء على الذات لا يتناسب مع خصائص الرسالة الخاتمة والأمة المخرجة الشاهدة، كما حدث نوع من التركيز على المحيط الجغرافي والاجتماعي بدرجة قد توحي إلى البعض بارتباط الإسلام بذلك المحيط الذي بلغه في فترة انتشاره الأولى"[1].

---

(1) طه جابر العلواني، المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث،، دبلن، إيرلندا، حزيران **2004**م/ ربيع الثاني **1425**هـ، العدد **4-5**، **56**.

وفي بعض الأحيان تتصادم بعض تلك العادات والأبنية الثقافية والاجتماعية مع السلوكيات والتعاليم الشرعية.

والمشكلة أن الحلول المطروحة بعضها صدامي لدرجة أنه كفيل بإغلاق الأبواب في وجه الإسلام، ويحسن التعامل مع تلك الأوضاع الثقافية بالصبر والاستيعاب ما أمكن، مع غض النظر مؤقتاً عن بعضها، ريثما تستدرك ثغرات أعظم، بسدها يصبح من الميسور تغيير سلبيات كثيرة.

يقول الأستاذ عبد الكريم بكار[1]: "حدثني أحد الدعاة في ماليزية أنه قرأ نحواً من مئتي كتاب حول الثقافة الصينية حتى يُكَوِّن خلفية تمكنه من دعوة الصينيين إلى الإسلام بنجاح".

وذكر أحد الإخوة من بلاد البلقان أن داعية زارهم، وكانوا حديثي عهد بإسلام، والعادة عندهم ألا يتزوج الناس فيه من بنات أعمامهم[2]، فلم يجد موضوعاً غير أن يتكلم في تلك المسألة، رغم أن بعض أهل العلم حذروه من مغبة ذلك[3] فأصر ظاناً أن في ذلك خيراً، فوقف الناس في المسجد، وسبوا الإسلام، ثم خرجوا ولم يعودوا.!

---

(1) عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دمشق، دار القلم، **1420**هـ/**1999**م، **55**.

(2) وهذا حال إخواننا الشراكسة والشيشان والألبان وغيرهم.

(3) حدثني بذلك الأخ المترجم الذي حذره عدة مرات فأصر ليقيم الحق، فأتت النتيجة بما لم يحسب.

إن الزواج من بنات العم ليس فرضاً، ويمكن للداعية أن يؤجله حتى يُسأل عنه، فإنه ليس من أصول الدين، ولا يضرهم أن يؤخر لهم حكم إباحته إن لم يلزمهم.

ويذكر بديع الزمان أن "من الواجب أن تَصدُقَ في كل ما تقول، إلا أنه ليس من الضروري أن تذيع كل الحقائق، لأن ما كلَّ ما يُعلم يقال، ولأنه يحتمل أن تؤثر النصيحة تأثيراً عكسياً فيمن يكون غير خالص النية، فيحصل عكس المراد"[1].

إن بعض الدعاة -هداهم الله- لا يفهمون ثقافة الأمم التي يريدون الدعوة فيها، ولذلك يخفِقون، ويكفي توجيهاً في هذا المقام قوله ﷺ:

"يا عائشة لولا أن قومك حديثُ عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهُدم فأَدخلتُ فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض"[2].

---

(1) بديع الزمان النورسي، سلسلة رسائل النور، رسالة الأخوة، **31**.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، الحديث **1586**.

ثالثاً: عدم فهم المجتمعات إشكالات وضرورات.

قال الله تعالى: (لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلا وُسْعَهَا) [البقرة:286]

والمعنى: " إلا يُسرها ولم يكلفها فوق طاقتها. وهذا قول حسن؛ لأن الوسع ما دون الطاقة"[1].

وإن المقدور عليه في بعض المجتمعات قد يضحي متعذراً في مجتمعات أخرى، وفقيه الدعوة عليه أن يتفهم إشكاليات الالتزام والضرورات التي يعيشها الناس في كل بيئة، فلا يحاول القفز فوق الحقائق، ولا يوصل من يدعوهم إلى جُدُرٍ صماء تسبب لهم مشقة غير متحملة، أو تجنح بهم نحو الهروب من الإسلام والتفلت التدريجي منه.

"وهذا يتطلب فقهاً لترتيبات مطالب الشريعة ومقاصدها، كما يتطلب فقهاً بالواقع المعاش، ونوعاً من البصيرة المسلحة بالخبرة في عواقب الأمور المترتبة على الإقدام على أمر ما، والإحجام عنه.

وهذا الفقه تشتد الحاجة إليه كلما ساءت الظروف والأحوال التي تمر بها الأمة، حيث تكثر الخيارات الصعبة، وتضيق سبل الحلول

---

(1) عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، **1**،**210**.

المطروحة، وتصبح التضحية ببعض الخير وارتكاب بعض الشر أمراً لا مفر منه.

إن تنمية الإحساس بفقه الموازنات لدى مسلم اليوم ضرورية جداً حتى لا نتعامل مع الأشياء على أنها كتلة صلدة، وحتى نشعر أن في بعض الشر خياراً"[1].

وقد وضع الإمام الجويني قاعدة مهمة نافعة للتعامل مع الإشكالات التي تنشأ في عصور دروس الشريعة وهي " أن الحرام إذا طبق الزمان وأهله، ولم يجدوا إلى طلب الحلال سبيلاً، فلهم أن يأخذوا منه قدر الحاجة، ولا تشترط الضرورة التي نرعاها في إحلال الميتة في حقوق آحاد الناس، بل الحاجة في حق الناس كافة تنزل منزلة الضرورة في حق الواحد المضطر، فإن الواحد المضطر لو صابر ضرورته، ولم يتعاط الميتة لهلك. ولو صابر الناس حاجاتهم، وتعدوها إلى الضرورة لهلك الناس قاطبة، ففي تعدي الكافة الحاجة من خوف الهلاك ما في تعدي الضرورة في حق الآحاد"[2].

---

(1) عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، **167**.

(2) عبد الملك بن عبد الله الجويني، الغياثي (غياث الأمم في التياث الظلم)، تحقيق ودراسة وفهارس الدكتور عبد العظيم الديب، ط**2**، دم، مطبعة نهضة مصر، **1401**هـ، **478**.

ومن أمثلة الحاجات: "أنواع من العقود التي لا يؤمن وجود بعض الاختلالات الشرعية فيها؛ لخلو الزمان من أهل العلم الذين تقوم الحجة بهم، ولاندراس الشريعة، "فإذا درست وقد عرف بنو الزمان أنه كان في الشرع تعبدات مرعية في العقود، وقد فاتتهم بانقراض العلماء، وهم لا يأمنون أن يوقعوا العقود مع الإخلال بعقود [حدود] الشرع وتعبداته، على وجوه لو أدركها المفتون لحكموا بفسادها، وليس لهم من العقود بُد. ووضوح الحاجة إليها يُغني عن تكلف بسطٍ فيها، فليصدروا العقود عن التراضي؛ فهو الأصل الذي لا يغمُضُ ما بقي من الشرع أصل، وليجروا العقود على حُكم الصحة"[1].

وهذا يشابه في وجوه كثيرة منه حال المسلمين في البلاد غير الإسلامية، وكذلك الداخلون الجدد في الإسلام، ممن لا يتمكنون من تطبيق الأحكام والعقود والمعاملات الشرعية بكمالها.

وعلى الداعية أن يفهم أحوال المجتمعات التي يتحرك فيها؛ ليبني الأبعاد الشرعية بشكل محكم بعيد النظر يزيد ارتباط الناس بالإسلام حتى لو عجزوا عن حمل بعضه، بدل أن يحملوا الكثير منه حملاً ظاهرياً، وقد خوت القلوب من التمسك به والحرص عليه.

---

(1) المرجع السابق، **495**.

رابعاً: التعجل.

إن الثمرة التي لم تنضج بعد لا يجوز قطفها، ولا يمكن أكلها والاستفادة منها، وإن قُطفت قبل صلاحها فلا سبيل لإرجاعها.

وكثيرون هم الذين يقطفون الثمار الفجة بعجلتهم، وبذلك تضيع جهود عظيمة أنفقوها، وكان يمكن أن تعطي أعظم الفوائد لو صبروا قليلاً.

يضغط بعض الدعاة على المسلمين الجدد ويحاولون قطف الثمار ولما تنضج بعد، ويذكر أحد المسلمين الغربيين نتيجة ذلك فيقول: "قد رأيت العديد من الأميركيين الذين يدخلون الإسلام ثم يخرجون منه، وكان عدد من ارتد عن الإسلام يشكل نصف عدد من قابلتهم عبر السنين"[1].

ويفيد هنا الإصغاء إلى وصية الجيلاني: "لا تعجل، فإن من استعجل أخطأ أو كاد، ومن تأنى أصاب أو كاد؛ أي: كاد أن يصيب"[2].

والحديث الصحيح عن النبي ﷺ يعلمنا: " إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إلا شانه" [3].

---

(1) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل، **306**.

(2) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، **17**.

(3) يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الرفق. **5**، **248**.

خامساً: الغرق في السياسة.

"إن الحقيقة الإسلامية تعلو فوق كل سياسة.

إن السياسة تصلح أن تكون خادماً للإسلام، وحاشا أن يغدو السيد خادماً لخادمه"[1].

تلك العبارات العميقة قالها الإمام النورسي لِـما رآه من ولع البعض بالسياسة حتى أصبحت هي الميزان، وهذا أمر خطير، فالسياسة ليست غذاءً حتى تكون مثل الخبز اليومي، بل هي دواء يؤخذ ويُترك، ويُتعامل معه وفق المصلحة العامة للمسلمين.

أما أن يصبح التفكير السياسي هو المسيطر والحاكم دائماً، فهذا معناه أمر واحد فقط، أن تضعف الدعوة لحساب السياسة، وتضيع التربية لصالح السياسة، بل ويستهان بكثير من ضوابط الشريعة في سبيل السياسة.

ينبغي أن تكون المصلحة الشرعية هي الضابط الأول والأخير:

فإن اقتضت عملاً سياسياً كان التوجه إليه بناء على أمرها وتوجيهها، لا شهوة وولعاً واستدراجاً.

---

(1) سعيد النورسي، الخطبة الشامية،**23**.

وإن اقتضت المصلحة الشرعية الابتعاد عن العمل السياسي، كان الابتعاد بقرارها ولوازمها، لا غفلة وجبناً وانزواء، فتكون المصلحة الشرعية هي القائد والموجه، وإلا فقد جنت كثير من الجماعات السياسية خسائر فادحة، بل جرت مجتمعات كاملة إلى دفع أثمان باهظة لفورات سياسية غير مدروسة، ما استفاد منها المسلمون نقيراً ولا قطميراً.

وقد حدثني أحد ثقات الدعاة أنه سمع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله يقول: أن الإمام البنا رحمه الله قال في أواخر أيامه:

"لو استقبلت من أمري ما استدبرت لرجعت إلى أيام المأثورات".

سادساً: حمل ما لا يطيق.

إن ما يواجهه الداعية من تحديات تؤدي به إلى نوع من الاستنفار الدائم، وتأتي تعقيدات الحياة المعاصرة لتضيف إجهاداتٍ نفسيةً وجسمية تسبب له الإرهاق المتواصل، ولا يكون تجاوزه بمزيد من بذل الجهد المُنهك، بل إن إعطاء النفس حقها ضرورة شرعية واقعية فـإن: "... لنفسك عليك حقاً... فأعط كل ذي حق حقه"[1].

وإن العمل بما هو فوق الطاقة يؤدي إلى إرهاق يزداد مع تزايد الجهد المبذول لأداء العمل: "مه عليكم بما تطيقون" [2] .

ولا يحصل الأداء الأفضل بمزيد من التعب، بل بإعطاء النفس حقها من الراحة، لتنبعث إلى العمل بقابلية أكبر، ويصبح الخير أعظم.

الداعية المرهق يقل إنتاجه وتتبعثر جهوده، وإن الْمُـنْـبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، والالتزام بالسنة هو الخير كله: "وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل[3] " كما قال الهادي ﷺ.

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه، الحديث **1968**.

(2) المرجع نفسه، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه، الحديث**43**.

(3) المرجع نفسه، كتاب: اللباس، باب: الجلوس على الحصير، الحديث**5861**.

ولأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله نظر ثاقب في وجوب انتزاع وقت إجباري للمرابطين في سبيل الله يستريحون فيه؛ كيلا يبغتهم العدو وهم في غاية التعب فيعجزون عن رده، لبلوغ الإرهاق غايته منهم.

وقد ذكر ابن كثير عنه أنه رحل إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وربما يستيقظ في الليلة الواحدة قريباً من عشرين مرة، يوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره.

وذكر ورَّاقه عنه مثل ذلك، وأنه كان يصلي وقت السحر ثلاث عشْرة ركعة، وكان إذا ركب إلى الرمي لا يُسبق، ولم يره أخطأ الرمي طول ما صحبه إلا مرتين، ولما رآه بفِرَبر استلقى على قفاه، لشدة ما تعب في كثرة إخراج الحديث، في تصنيف كتاب التفسير، قال له:

" يا أبا عبد الله سمعتك تقول: إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط منذ عَقَلت، فأي علم في هذا الاستلقاء.؟

قال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة لذلك، فإن غافصنا العدو (أي فاجأنا على غِرَّة) كان بنا حراك (أي قوة)"[1].

---

(1) عبد الفتاح أبو غدة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، **123**.

"قال الجنيد: دخلت على شاب فسألني عن التوبة فأجبته، فسألني عن حقيقتها، فقلت: أن تنصب ذنبك بين عينيك حتى يأتيك الموت!

فقال: مه، ما هذه حقيقة التوبة!

فقلت له: فما حقيقة التوبة عندك يا فتى؟

قال: أن تنسى ذنبك.

وتركني ومضى، فكيف هو عندك يا أبا القاسم؟

فقلت: القول ما قال الفتى.

قال: كيف؟

قلت إذا كنتُ معه في حال ثم نقلني من حال الجفاء إلى حال الوفاء، فذكري للجفاء في حال الوفاء جفاءُ"[1]، فافهم رحمك الله وارفق بنفسك ولا تجفُ.

---

(1) ابن قيم الجوزية، الفوائد، مرجع سابق، **267**.

المبحث الخامس:

صيانة البلاغ:

إيمان تصديق لا إيمان اضطرار

تعليم القراءة من آيات الآفاق والأنفس

فهم متوازن لا ردود أفعال

ساحة خير لا جيوب فيها

تقليل الجبهات بجسور إيجابية

لا نجر الأمم إلى سلبياتنا

ركن شديد ننطلق منه

إحياء دور المرأة المسلمة

من إيماننا نكمل نقصهم

لصيانة البلاغ الذي نقوم به علينا العناية الدائمة به، وذلك بالتأكيد على:

أولاً: إيمان تصديق لا إسلام اضطرار.

يسهل في بعض الأحيان طرح الإسلام كفكرة نظرية جميلة، وقد يقر لك المسلم الجديد اضطراراً أو لقلة معرفته بأنك على حق فيما تحدثه به، ثم تغرس في قلبه معاني قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ) [الحُجُرات:1] فيظن أن كل ما تطرحه له هو أمر إلهي، أو توجيه نبوي حاسم، وقد يتحمس البعض في البداية، ويتابعون الطريق، ولكن يلاحظ عند آخرين من المسلمين الجدد نوع من النكوص والانسحاب التدريجي الذي قد يؤدي إلى الردة التامة، أو يتعلم بعضهم الالتفاف على الإسلام مما قد يؤدي إلى نوع من الإسلام دون التزام.

إن الإسلام الحق عبودية خالصة لله، ومن الانحراف عن الحق أن نزرع بأيدينا بذور الردة، أو نوجِد إسلاماً بلا التزام، أو إسلاماً مزاجياً بحيث ينتقي منه الإنسان ما يناسب هواه، ويجب الانتباه بالذات إلى "المتسكعين الميتافيزيقيين فهؤلاء الأشخاص يقفزون من

ديانة إلى ديانة، وهم عادة يُصغون إلى أي شيء يختلف عن مجرى الأديان العام... وهؤلاء يستسلمون للتحولات المفاجئة ويتحمسون بنشاط، ثم يبدؤون في الشكوى بأنهم لم ينالوا ما كانوا يوعَدون"[1].

إن ذوي الطبيعة الذاتية من "المتسكعين الميتافيزيقيين" يصعب في الحقيقة العمل معهم، ويحتاجون إلى جهود كبيرة، وفي النهاية فإن أكثرهم لا يثمرون شيئاً.

ولكن هناك في المقابل عينات تنكص أو تتحايل بسبب طريقة الطرح التي نقوم بها من الإغراق في الجزئيات، أو تحميلهم عاداتنا الاجتماعية المغطاة بقشرة دينية، أو الهجوم عليهم بأمور لا يطيقونها، أو اختيار الأشق من الفقه، والأكثر عسراً من الآراء، وأولئك يتابعون السير في الإسلام اضطراراً لبرهة، ثم يتركونه تماماً، من دون أن يكون للإيمان الذي زودناهم به أي رصيد في قلوبهم.

علينا الانتباه بشكل فائق كي لا نخلط بين ما أمر الله ورسوله به، وبين فهمنا القاصر وعادتنا الاجتماعية المليئة بالغث والسمين؛ وكي لا نكلف الأمم ما لم يأمرها به الله.

---

(1) ستيف جونسون، دعوة الأميركيين: النظرية والتطبيق، الأقليات المسلمة في العالم (بحوث وتوصيات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي **1163،3**.

ومن التجارب المريرة ما ذكره جيفري لانغ متحدثاً مع أحد المسلمين الغربيين: "بأننا المعتنقين الجدد قد أصبح لدينا انفصام ديني في الشخصية "religious schizophrenic" نظهر بشخصية داخل الجالية الإسلامية، وبأخرى خارجها"[1].

لابد من إعادة ترتيب الأولويات والخروج من الأنماط الجزئية، وقد وجدت من خلال بعض التجارب المتواضعة والمحدودة أن الطرحَ المبني على إظهار المقاصد الشرعية ذو تأثير أكبر بكثير من الطرح الجزئي، ويُعمق في القلوب عظمة الإسلام والإيمان الواعي به، وعندما يقترن بنماذج إسلامية عملية من الإسلام العفوي المتوازن والتفاعلي فغالباً يبقى له أثر فعال وأكيد.

---

(1) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل، **302**.

ثانياً: تعليم القراءة من آيات الآفاق والأنفس.

من الضروري "أن تتنوع الأساليب والمناهج الدعوية في ارتكازها على الأسس الفطرية، والركائز البشرية الشاملة لركائز القلب والعقل والحس"[1].

وهذا معناه مخاطبة الناس من خلال المنهج العاطفي، أو العقلي، أو الحسي، أو مزجها بنسب ملائمة للمدعو.

إن قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) [فُصِّلَت:53] يشكل منهجية دعوية لابد من اعتمادها لصيانة البلاغ المبين، وتقوم على تعليم المدعو القراءة من آيات الآفاق والأنفس، وهو ما سوف يعطيه توازناً بين المناهج الثلاثة العقلية والعاطفية والحسية، ويؤدي إلى تواجد رصيد إيماني يمنع من الذوبان والتآكل.

إن المعرفة تأتي من التفكير [ومن أدام الفكرة كان له بكل شيء عبرة]، وحولنا الكثير من الآيات والنعم التي يجب أن نتدبرها، فلنفكر بها ولنترك أرواحنا تنال حظها من غذائها.

---

(1) محمد أبو الفتح البيانوني، بصائر دعوية، **63**.

كنت يوماً مع بعض الإخوة في غابة جميلة، وكانت زقزقات الطيور ساحرة، وفجأة قال أحدهم: إن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: (وَإِن من شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء:44] وإذا تابعنا الكلام فلن نستطيع سماع وفهم تسبيح باقي الكائنات، فبدأنا نستمع باهتمام، لقد كان أمراً أخَّاذاً، وبدأت أرواحنا تصغي وتتفاعل مع تلك اللغات العلوية المذهلة.

ليس ضرورياً الذهاب إلى مكان بعيد من أجل التفكر والتعلم فإن الله تعالى يقول: (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُون) [الذاريات:21] والآيات من حولنا كثيرة جداً؛ يمكن أن نسمعها ونحسها ونراها... في ماء الجدول الرقراق، ومع تسبيحات الطيور، ومن ابتسامات الأطفال الرائعة، وعناق الأشجار الملتفة، وأجنحة الفراشات المرفرفة، وهناك في أعماق نفوسنا سنحس بعظمة الله، وتشهد كل ذرة من كياننا أن لا إله إلا الله.

إن ذلك التفكر سوف يؤدي إلى زيادة الإيمان:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ما كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ الله بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ معَ الله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً ما تَذَكَّرُون ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله تَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُون ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم منَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)

[النمل:64]

من التفكير العميق والإيمان الصالح ستنبعث العبادة الصادقة، والتي ستمد الإنسان بالمزيد من التفكر والإيمان"[1].

---

(1) بتصرف من رسالة كتبها الفقير باللغة الإنكليزية إلى أخت هولاندية مسلمة، ثم كانت تلك الرسالة جزءاً من محاضرة حول: كيف يعيش المسلم في مجتمع غير مسلم، ألقيت في الجامعة الكاثوليكية بمدينة نايميخن Nijmegen الهولاندية بدعوة من اتحاد الطلبة المسلمين، بتاريخ الخميس **21** نيسان **2005**م.

ثالثاً: فهم متوازن لا ردود أفعال.

يحمل الخطاب الديني لدى بعض المتكلمين بُعداً خرافياً واضحاً، يقوم بإفساد العقول بالجملة، ويزرع فيها محاكمات لا بعيدة عن المنطق العقلي السليم فحسب، بل بعيدة عن أي منهج شرعي.!

والقصور المعرفي لدى أولئك الخرافيين يمنعهم من رؤية الآثار السلبية المروعة التي يساهمون في تعميقها، والعقلية الانفعالية المنتشرة لم تزل غير مدركةٍ ما توجِده من آثار تخديرية يسببها الانسياق اللاواعي وراء الأحلام، بل الأوهام، وإن ما يجتاح العالم الغربي من جفاف روحي ليس دواؤه بحال نقل الخرافات والطامات التي كانت من أسباب التدهور زاعمين أنها الحل.!

وتقصير المسلمين بدينهم لا ينبغي أن يحشرنا في المناهج الظاهرية التي لا تَرى أبعد من أنفها قليلاً ولا كثيراً، وقد تكون الحرفية سببت خسائر هائلة، ولكن حاطبي الليل يسببون خسائر بعيدة المدى قَلَّ من يتابعها ويدرك خطرها.

قابلت شاباً حديث عهد بإسلام، وعلمت أنه من عائلة محترمة وعلى فطرة عظيمة مع ثقافة عالية، حتى أن جيراناً لهم من المسلمين

أخبروني بأنه يندر أن يوجد أحد مثل ما هم عليه من الخلق الكريم، فسُررتُ بذلك، ولكني بعد مدة رأيت في الشاب نزوعاً نحو نوع غلو في فهم الفقه لم أستطع معرفة منبعه، ثم رجع إلى بلاده فكان داعية في أهله لكره الإسلام والمسلمين، فقد علموه عندنا! أن أمه نجسة! فلم تمتد يده إلى إناء مسته يدها مهما كان نظيفاً، وهجر مؤاكلة أهله، وكأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أخطأ عندما توضأ من جرة نصرانية، دون أن يسألها إن غسلت يديها قبلاً أو بعداً.

إن من يلقي الأمور بتلك الطريقة يُلام، وينطبق عليه ما قاله الإمام الغزالي رحمه الله: "وقد انتهت النوبة الآن إلى قوم يسمون الرعونة نظافة، فيقولون هي مبنى الدين، فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر، كفعل الماشطة بعروسها، والباطن خراب.. ولا يستنكرون ذلك ولا يَعجبون منه"[1].

وهناك أفكار وكتب وأمور فيها غذاءٌ ودواءٌ وداءٌ، ومن وضع الدواء لصحيح جلب له الهلاك! فكيف بمن يحمل له الداء وهو لا يدري.

---

(1) محمد الغزالي (الإمام أبي حامد)، إحياء علوم الدين، وبذيله المغني عن حمل الأسفار، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، **1**، **127**.

أما المبالغات الدائمة وتضخيم الأمور والبناء على الوهم فشيء شديد الشيوع.

وعلى سبيل المثال فإن "بعض المسلمين بدؤوا يمارسون نفس الهواية السمجة التي مارسوها في – حرب الخليج الثانية– عن تداول الشائعات وترويجها في المساجد والمراكز الإسلامية عن إسلام عشرات الآلاف من الأميركان[1]، وأن المراكز الإسلامية المنتشرة في الولايات المتحدة بدأت تستقبل الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد الذين لفتت أنظارهم تلك الأحداث إلى الإسلام، فبعد أحداث الحادي عشر من (سبتمبر) اجتاحت المساجد شائعة تقول: لقد بلغ عدد الداخلين إلى الإسلام من الأميركان الأصليين البيض والسود والصغار والكبار والنساء والذكور سبعين ألفاً وعدة مئات في تلك الفترة الوجيزة!!"[2].

---

(1) يفرح أكثرنا عندما نسمع عن إسلام أحد الغربيين، ولكن القليل منا تتمزق قلوبهم لما يقع من ارتداد العديد من أبناء وبنات المسلمين بسبب أخطائنا، وفيما أعلم لم يقم أحد من المسلمين فيما أعلم بدراسة عميقة عن آثار تلك الأحداث، ولم يحص أحد عدد المرتدين الحقيقيين من أبناء المسلمين.

(2) طه جابر العلواني، المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، (حزيران **2004**م– ربيع الأول **1425** هـ)، دبلن، **1**:**34**.

وسمعت من أستاذ كبير أنه يدخل الإسلام كل يوم عشرة آلاف من الإنكليز في الإسلام! فوا إسلاماه لهذا التهويل، مع العلم أن عمر الإسلام في بريطانية كجالية يتجاوز مئتي عام، ووصل عددها إلى قرابة الملايين الثلاثة، ولم يتجاوز عدد المسلمين البريطانيين عشرين ألفاً! كما حدثني بعض ثقات الدعاة.

لقد هش أكثرنا للأخبار التي ذكرت أنه قد نفدت الكتب التي تتحدث عن الإسلام من المكتبات، ولم نسأل أنفسنا:

أنحن الذين كتبناها.؟

أم كانت فرصة لكل من هب ودب كي يُسَوِّقَ كتبه في غفلة منا ونحن نضحك ونلعب؟

رابعاً: ساحة خير لاجيوب فيها.

يقوم الإسلام في نفوس البعض على محاور ضيقة جداً ينبعث منها التكفير لكل من عداهم.[1]!

وهذه المناهج ليست سليمة، وهي من أكبر عوائق الصد عن الإسلام. ويقول الإمام الغزالي في ذلك:

"فإن زعم [صاحبك] أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري، أو مذهب المعتزلي، أو مذهب الحنبلي، أو غيرهم.. فاعلم أنه غِرٌ بليد، قد قيده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيِّع بإصلاحه الزمانَ.. ولعلك إن أنصفت علِمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه، فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر فلأنه نزَّلَه منزلة المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته، ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته...[2].

وفي الحالة المحزنة التي تعيشها الدعوة إلى الله من انتشار التكفير بين المسلمين، وعدوانهم على بعضهم فلابد من الفقه الأول فقه الكتاب المبين: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[الأنبياء:92].

---

(1) انظر ما كتبه الدكتور طه جابر العلواني في بحثه القيم: لا إكراه في الدين (إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم)، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، **1424**هـ/**2003**م.

(2) محمد الغزالي (أبو حامد)، (**505**هـ/**1111**م)، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، حققه: محمود بيجو، دمشق، **1413**هـ/ **1993**م، **19**-**23**.

خامساً: تقليل الجبهات بجسور إيجابية.

إن المواجهات التي تتفاقم لأسباب مختلفة لا ينبغي أن تمنع الدعاة عن إدراك حقيقة أن الشعوب تبقى شيئاً قد يقترب أو يبتعد عن الأنظمة، ويبقى دائماً هناك جسور لا ينبغي للدعاة أن يدمروها؛ لأنها الطريق إلى كسب قلوب تلك الأمم مرة أخرى، وتقصيرنا في ذلك لا يخفى، وإن ردود الأفعال لا ينبغي أن تكون هي الموجِّه في فقهنا وتفكيرنا الشرعي.

كما أن الانكسار الذي أصاب الأمة المسلمة في أكثر من صعيد ليس نهاية المطاف، وعلينا أن نبحث دائماً عن أبواب واسعة لرفع راية الإسلام.

ومن العبر الملفتة أنه رغم غزو التتار الوحشي وتدميرهم لبلاد المسلمين فقد "بدأت دعوة الإسلام تنتشر فجأة في هذا الشعب، ويتحقق على أيدي دعاة الإسلام ما لم يتحقق بالأسنة والرماح، وبطش السلاطين والملوك، وبدأ الإسلام يتسرب في نفوس أعدائه، ويأخذ بمجامع قلوبهم"[1].

---

(1) أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الكويت، دار القلم، ط**8**، **1409**هـ/**1989**م، **1**:**248**.

ومما ذكره المؤرخون أن "دولة جنكيزخان – والذي دمر حفيده هولاكو بغداد سنة 656 هـ – قد توزعت بعد وفاته إلى أربعة فروع، وبدأ الإسلام ينتشر في هذه الفروع الأربعة، وأصبح التتر يعتنقون الإسلام بجهود الخاقان، حتى دخلوا في ظرف مئة سنة في دين الله"[1].

وقد لقيت الحضارة الإسلامية على يد المغول الخراب والدمار والذبح والاضطهاد "وعلى الرغم من جميع المصاعب أذعن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة[2] آخر الأمر لدِين هذه الشعوب التي سامَوها الخسف وجعلوها في مواطئ أقدامهم"[3].

---

(1) المرجع السابق، **1**،**250**.

(2) قد استخدم الرومان القدماء هذا المصطلح حتى فشا بين الكتاب والمثقفين، والبربر شعب معروف ومسلم ولا تصح النسبة إليه بهذه الطريقة والصواب أن نقول: الهمج والهمجية بدل البربر والبربرية.

(3) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، **258**.

سادساً: لا نجر الأمم إلى سلبياتنا.

من الحجب في وجه انتشار الإسلام "سوء حال المسلمين في هذه القرون الأخيرة، فقد فسدت حكوماتهم وشعوبهم، واستحوذ عليهم الجهل بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم حتى صاروا حجة لأعدائهم فيهما على أنه لا خير فيهم ولا في دينهم"[1].

وإن ذلك الركام لا يمكن إزالته إلا بالقدوة العملية والمستمرة، وعلى سبيل المثال فإن "مبدأ المساواة هو أحد المواضيع البارزة في تعاليم الإسلام، بحيث لا يمكن لأحد أن يخطئه لدى قراءته لتلك التعاليم، كما أني لا أقول بأن هناك من المسلمين من يحاول إبراز هذه السمة في الإسلام كلما سنحت له الفرصة، بل إن الأمر يمكن ملاحظته بشكل جلي في التقاليد والتفاعلات الدينية للجالية الإسلامية، ولا عجب أن يكون ذلك من بين أول الأشياء التي أذهلت (مالكوم إكس) في رحلته التي قام بها إلى الحج في مكة"[2].

---

(1) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مطبعة المنار بمصر – دم، ط**3**، **1354**هـ/**1935**م، **20**.

(2) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل، **225**.

وبالمقابل فكثيرون من المسلمين حملوا معهم كل ضعف مجتمعاتهم، والأمة التي يقول لها نبيها ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[1] خرج منها في الولايات المتحدة الأميركية طالب مسلم "هدد أنه إذا وجد امرأة في المسجد فسوف يلقيها في الشارع، وأما هؤلاء النسوة الجدد فقد سئمن المحاولة للصلاة في المركز [الإسلامي] بعد أن سببت محاولتهن تلك نقاشاً وجدالاً عنيفين، وهكذا فقد امتنعن عن أداء الصلوات في المساجد، وسرعان ما عادت الجالية إلى طبيعتها، ولكن حسب علمي لم تبق ولا واحدة من أولئك النسوة على إسلامها اليوم!"[2].

إن عوامل الضعف التي تعاني منها الأمة المسلمة تؤثر بشكل هائل على أي مد دعوي، ولابد لإزالة تلك الآثار الضارة من عمل فعال ركيزته الأولى القدوة الصالحة الحسنة، والفهم الرشيد للإسلام ورسالته في الحياة.

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب: الجمعة، رقم الحديث: **900**

(2) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل، **299**.

سابعاً: ركن شديد ننطلق منه.

"إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ينبغي أن تكون في الأسلوب الذي يُبلغ به الداعية لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها.. إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملة، أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة"[1].

والأصل في ذلك قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [الحجر:94]

وقد لابست بعض الدعاة منكرات ما وجدت مَن يصدع بالحق تُجاهها حتى كاد الحق يضيع، وعلى الدعاة أن يكونوا واضحين في كثير من أمورهم؛ كي لا يلتبس الحق مع الباطل.

و"إن التفجيرات التي تقتل المدنيين في فرنسة وإسبانية وأميركة هي أعمال يستحيل أن يتم تخريجها تخريجاً فقهياً سليماً على قواعد الجهاد الإسلامي، والنفرة التي حصلت في قلوب البشر كلهم من هذه الأعمال العنيفة هي نتيجة كانت مقصودة عند من خطط لها من رجال المخابرات الأميركية والموساد الذين حرصوا على تشويه

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط**6**، **1398**هـ/**1978**م، **3**،**941**.

صورة الإسلام والمسلمين، وكلفوا عملاء مسلمين ليستدرجوا شباباً مخلصين في قمة الإخلاص من أصحاب النوايا الجهادية الذين يعوزهم الوعي والتجريب والفقه، ووجدوا فيهم مادة خاماً يوجهونهم من وراء الستار وهم غافلون"[1].

ومن الواضح أن الظلم الذي تعرضت له الأمة المسلمة والنهب الدائم لخيراتها والإجحاف الشديد بحقوقها هو الذي يوجِد التربة المناسبة لشتى ردود الأفعال، بل للتفكير غير المقبول، وعلى الدعاة ألا يدفعوا ثمن شيء ليسوا مقتنعين به؛ لأن الآثار السلبية ليست مقتصرة على زمان أو جهة محددة، بل توشك أن تنحرف بالإسلام كله عن دربه القويم.

إننا دعاة لا قضاة..

وهداة لا جباة..

ونعمل في ضوء الشمس بلا خبايا ولا أسرار.

---

(1) محمد أحمد الراشد، عودة الفجر (إحياء فقه الدعوة)، فان كوفر-كندا، دار المحراب، طبعة بغداد، **1425**هـ/ **2004** م، **42**.

ثامناً : إحياء دور المرأة المسلمة.

إن من أكبر عوائق امتداد الإسلام في الأرض الإجحاف بدور المرأة المسلمة في الحياة، ورغم مباهاة كثير من المسلمين بالوضع المتميز والتكريمي الذي يقدمه الإسلام للمرأة إلا أن الإسلام شيء، وحياة العديد من المسلمين ونظرتهم إلى المرأة شيء آخر تماماً..!

وعلى سبيل المثال فأين نجد مثلاً البعد التنفيذي لقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم) [التوبة:71]

رغم وجود وعي لدى بعض المؤمنات إلا أن الكثرة الكاثرة من النساء المسلمات من أجهل النساء بدينهن، والرجل الذي يزعم التفقيه لهن لا تقل حاجته عن حاجتهن إلى التعلم.

إن من الأخطاء المعيبة في التفكير الاعتقاد أن علينا أن نختار بين عاداتنا الاجتماعية وفيها الغث والسمين، وبين بعض سلبيات الأمم التي جعلت من المرأة سلعة وجسداً ومادة ترفيه وتسلية وانحدرت بكرامتها إلى الحضيض..

وإن إعادة الاعتبار لدور المرأة المسلمة، وضمن ضوابط الشريعة، لهو أكبر سند لحركة الإسلام كله في الأرض وصيانة مستقبله.

وأسوق هنا مجرد مثال عن مكانة المرأة المسلمة:

فقد ذكر الإمام عبد القادر القرشي في كتاب (الجواهر المضية في تراجم الحنفية) في ترجمة فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندية، بنت الإمام السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء، وزوجة الإمام علاء الدين الكاساني صاحب بدائع الصنائع، أنها تفقهت بأبيها، "وأن الفتوى كانت تخرج من البيت وعليها خطها وخط أبيها، ولما تزوجت بالكاساني صارت الفتوى تخرج من بيتها وعليها خطها وخط أبيها، وخط زوجها، وأن زوجها ربما كان يَهِمُ فترده إلى الصواب، وتعرفه وجه الخطأ، فيرجع إلى قولها.

[كما يقول] : وقد بلغنا عن بلاد ما وراء النهر[1] أنه في الغالب لا

---

(1) ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، وهو من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً، وليس هناك موضع فيها يخلو من العمارة من مدينة أو قرى أو مياه أو زروع أو مراعٍ لسوائمهم، ومياهها أعذب المياه، وأما سماحة أهلها فإن الناس كأنهم في دار واحدة، ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل دار صديقه، وأما بأسهم وشوكتهم، فليس في الإسلام ناحية أكبر حظاً في الجهاد منهم، ومن أحسن منازلهم: بخارى والصغد وسمرقند، ثم خربت على يد عساكر خوارزم شاه فصارت خاوية على عروشها، وبعد سنوات قليلة ورد عليها التتر عام **617** هـ فخرب باقيها، وانظر للتوسع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار بيروت-دار صادر، **1376**هـ/**1957**م، **5**، **45**.

تخرج فتوى من بيت [عالم] إلا وعليها خط صاحب البيت وابنته، أو امرأته أو أخته" [1].

صُدمت حقيقة من مسألة طرحتها أخت في دورة للدعاة[2]، حيث ذكرت أنها استطاعت بعد جهود كبيرة أن تحصل على فترة ساعتين لبث برنامج إذاعي موجه للجالية المسلمة في منطقة لندن، وقُدِّر عدد متابعي برنامجها بنصف مليون شخص، ولكنها حوربت بضراوة حتى توقفت، وكان السبب أن صوتها عورة.!

وفي بلد عربي مسلم تحالفت الجماعات الإسلامية ضد إعطاء حق التصويت للمرأة، فما بالك بحق الترشيح أو ما فوقه، وسمعت فاضلاً منهم في إحدى الفضائيات يذود عن جماعته، ولما سأله المذيع: ولكن العلامة القرضاوي أفتى بجواز ذلك! وهو من المعتبرين عندكم.؟ أجاب الأخ الفاضل: لكل رأيه، ثم مضى، ولكن سفارة دولة غربية ماكرة وجدت الفرصة سانحة فاهتبلتها، وضمت جمعيات النساء تحت جناحها في وجه تيار إسلامي محدود الأفق لم يتدارس أبناؤه فقه سورة سبأ.

---

(1) صالح يوسف معتوق، جهود المرأة في رواية الحديث (القرن الثامن الهجري)، بيروت، دار البشائر الإسلامية، **1418**هـ/**1997**م، **10**.

(2) عقدت في المؤسسة الإسلامية في ماركفيلد – ليستر صيف عام **2007**.

إن من صيانة البلاغ الإيماني أن يتوازن فيه دور المرأة والرجل، جناحي الحياة الأساسيين..

وأن يكون التكريم الرباني لهما معتبراً لكلا الطرفين، وإلا فما استطاع طائر قط أن يعلو بجناح واحد محلقاً في السماء.

تاسعاً: من إيماننا نكمل نقصهم.

إن شعوب الأرض ظمأى إلى الإيمان، وفي حياتها علل خطيرة، وأكثرها جهلة بالمنهج الحق، وللإمام الغزالي رحمه الله نظر بعيد فيقول:

"إن الرحمة تشمل كثيراً من الأمم السالفة، وإن كان أكثرهم يُعرضون على النار، إما عرضة خفيفة حتى في لحظة أو ساعة، وإما في مدة حتى يطلق عليهم بعث النار، بل أقول: إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى؛ أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك، ولم تبلغهم الدعوة...." [1].

وكثير من أهل الأرض الآن لا يقلون جهلاً عن أسلافهم، بل إن الإعلام المعاصر زاد جهلهم بالإسلام، وما يقترفه المسلمون بحق دينهم من الإساءات والتقصير يزيد الأمم بعداً وضلالاً.

ولابد أن يكون لنا فقه لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين) [الأنبياء:107] لنكمل نقص أهل الأرض من إيماننا، ونهديهم الصراط المستقيم.

---

(1) محمد الغزالي (أبي حامد)، فيصل التفرقة، **84**.

خاتمة وخلاصة:

ظهر من خلال الرسالة ما يلي:

1. هناك حاجة ماسة لضرورة النهوض بالخطاب الدعوي بين غير المسلمين، وإن أكبر موانع الدعوة الإسلامية إنما سببها الأول هو عوائق داخلية تماماً، وعلاجها في حاجة إلى تدارك وبناء أخلاقي وتربوي وإيماني.

2. سلامة المنهج شرط لا يمكن تجاوزه للوصول إلى الصواب، ويعاني المنهج الدعوي من ثغرات تمت الإشارة إلى بعضها.

3. أسلوب الدعوة مهم جداً، وهناك حقوق ضائعة بسبب أساليب لم تواكِب المقصد والغاية، فأدت إلى كوارث مؤلمة.

4. في طرق الدعوة مصارع خطيرة لابد من اجتنابها، وهي متعددة المحاور.

5. يحتاج البلاغ إلى صيانة مستمرة، وإلا تآكل ولم يعد مجدياً.

6. الدعوة إلى الله: إيمان وخُلق، وعلم وفقه.

7. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين: منهج وسلوك وغاية.

أسأل الله تعالى السداد والقَبول والعفو عن الزلل، وصلى الله على الهادي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

المؤلف في سطور	5
مقدمة الطبعة الثانية	6
مقدمة الطبعة الأولى	7
المبحث الأول: صفات الداعية.	13
الصلاح قبل الإصلاح	15
لوعة القلب	19
حب الهداية	23
التواضع	26
الصبر في الحالين	28
الالتجاء إلى الله	31
الثبات حتى اليقين	33
أدب العلم قبل حرفه	35
صواب لا أدري	38
المؤمن صاحب نصيحة	39
المبحث الثاني: سلامة منهج الداعية.	41
الكمال في القرآن	43
الإخراج من التيه	46
يسروا ولا تعسروا	48
رحمة عامة شاملة	52
شعب الإيمان تحدد المسار	54
يحمل هذا العلم عدوله	56
المبحث الثالث: أسلوب الداعية.	59
اعتماد طريقة المصحف البشري	61
ندعو الناس من خلال دنياهم	64

حديث لا فتنة فيه	66
الهداية والتربية لا التعبئة والاستعداء	69
وعاء للخير كله	72
التدرج في الطرح	74
المبادرة	77
خير دائم وإن قل	79
المبحث الرابع: مصارع الداعية.	81
آفات القلوب	83
عدم فهم المجتمع ثقافة وعادات	87
عدم فهم المجتمع إشكالات وضرورات	90
التعجل	93
الغرق في السياسة	94
حمل ما لا يطيق	96
المبحث الخامس: صيانة البلاغ.	99
إيمان تصديق لا إيمان اضطرار	101
تعليم القراءة من آيات الآفاق والأنفس	104
فهم متوازن لا ردود أفعال	107
ساحة خير لا جيوب فيها	111
تقليل الجبهات بجسور إيجابية	112
لا نجر الأمم إلى سلبياتنا	114
ركن شديد ننطلق منه	116
إحياء دور المرأة المسلمة	118
من إيماننا نكمل نقصهم	122
خاتمة	123

إصداراتنا :

أ.د. عماد الدين الرشيد

الزواج في ضوء الكتاب والسنة	أسس الزواج		العلاقات الداخلية في الأسرة.
العلاقة بين الأبوة والبنوة	اليهود تحت المجهر		الصيام بعث الأمة الدائم
العزوبة إلى أين..	رحلة مع الطفولة	رفرفات العيد	المشكلات الزوجية
النفس البشرية	البدعة	نقد المتن	التأويل	المرجعية
المواطنة صناعة الهدف	الدراما في النص القرآني		الإبداع	الأسوة الحسنة
الحرية في الإسلام	الإعلام المعاصر	ثقافة الخطيب		أثر أفلام الكرتون في تربية الطفل

الأستاذ معاذ الخطيب

جمالية الإسلام	في درب الزواج	عشر نقاط تمنع احتلال الأسرة
الهندسة البشرية	قل هذه سبيلي	رمضان..حياة بعد ضياع
أسماء لا حياة من دون أخلاق	رحلة مع المراهقة: العادة السرية	ضمانات اجتماعية

أ. د عبد الكريم بكار

هكذا تكون الأمهات	مواجهة مع المراهقة		كيف نرتقي بأنفسنا
وهكذا يكون الآباء	النضج العقلي		الفرصة الذهبية
التوازن في حياة المسلم	التربية بالحوار		كيف نرتقي بفكر أبنائنا
تنمية الشخصية	أدب الزمان		تحسين السلوك الشخصي
وضوح الرؤية	ثقافة الشباب	فضة أمة	التربية في عصر العولمة
لنتواصل جيدا مع من نحب	الاحترام	المسؤولية	وهكذا يكون المربي
كيف تقرأ كتاباً	الداعية المؤثر	العدوانية	الشباب والمستقبل
الكذب عند الأطفال	محمد خاتم النبيين		تدعيم الذات
السعادة لماذا تتصدع البيوت	صلاح الدين الأيوبي	خالد بن الوليد	العقل المنفتح
البناء في القرآن الكريم	البناء النفسي لدى الشباب	المسلم الإيجابي	لمسات

دروع الإمام	شيخ القراء كريم راجح
الحقيقة المنسية	أ.د.محمد سعيد رمضان البوطي
الجهاد بالمال في سبيل الله	د. نواف تكروري
هكذا علمتني الحياة	الشيخ علي عبد الخالق القرني
الاختلاف: أسسه وآدابه.	فضيلة الشيخ إسماعيل المجذوب
القيم الروحية وأثرها على العمل الخيري	فضيلة الشيخ عدنان السقا
الحوار الهادئ	فضيلة الشيخ عدنان السقا
القيم الجمالية والتربوية في فن الخط العربي	الخطاط: عدنان الشيخ عثمان
الغزو الفكري في أفلام الكرتون	د. أحمد نتوف

قريبـــــــــــــــاً

أ.د عبد الكريم بكار

الحافظ الذهبي		قواعد اكتساب المعرفة

أ.د.عماد الدين الرشيد

وطني	الحب في كتاب الله	الآبائية..
مفهوم الديمقراطية	صناعة المرجعية	استثمار طاقة البالغين في التنمية
الأمن الاجتماعي	الجانب المدني في الفكر الإسلامي	أثر علوم الحديث في حفظ ثقافة الأمة

مولد المصطفى	أ. خير الدين وانلي
إنسانة ولكن..	د. غيداء المصري
الثقافة العربية	أ. أحمد مظهر العظمة
سورة العصر	أ. مصطفى أحمد الزرقا

قريبا:

سلسلة البناء الأدبي:

ما عندكم ينفد..	أ. معاذ الخطيب
فتح الأندلس	د. عماد الدين الرشيد
رحيق الروح	منار أم الهدى كعيد

سلسلة البناء المنهجي:

المنهجية	أ.د. عماد الدين الرشيد
مناهج البحث العلمي	أ.د. عماد الدين الرشيد
أصول الفقه	أ.د. عماد الدين الرشيد
أصول الحديث	أ.د. عماد الدين الرشيد
تاريخ التشريع	أ.د. عماد الدين الرشيد
الفقه المقارن	أ.د. عماد الدين الرشيد
مقاصد الشريعة الإسلامية	أ.د. عماد الدين الرشيد

سلسلة البناء والترشيد